الإسلام في الفكر الاستشراقي
للمستشرق الألماني جوستاف بفانموللر

ترجمة الدكتور
محمود حمدي زقزوق

يعد كتاب « موجز في أدب علوم الاسلام » Handbuch der Islamliteratur

أهم مؤلفات الأستاذ الدكتور « جوستاف بفانموللر »
Gustav Pfannmueller

وقد ظهرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٩٢٣ في برلين وأعيد نشره عام ١٩٧٤ ، ويقع الكتاب في ٤٣٦ صفحة .

ويذكر « بفانموللر » في مقدمة كتابه أنه يريد أن يقدم لكل من يود الاشتغال بحضارة الاسلام مدخلاً أوليا للدراسة ، وعلى ذلك فإنه لا يتوجه بهذا المدخل إلى المتخصصين فحسب ، وإنما يتوجه به في المقام الأول إلى دائرة واسعة من القراء ، الذين يريدون التعرف عن قرب على الحياة العقلية للشرق الإسلامى .

ويقدم الكتاب مختارات منتقاة ، من بين المراجع التى أثبتت أهميتها العظيمة ، عبر المسار التاريخى لعلم الإسلاميات ، ولا يكتفى المؤلف بمجرد حصر جاف لعناوين المراجع ، وإنما يقوم بتصنيفها تصنيفا موضوعيا ، وتقديم عرض مختصر لمضمون كل مرجع . وينصب الاهتمام الرئيسى للكتاب - بطبيعة الحال - على الدين الاسلامى . ويخصص له المؤلف اثنى عشر فصلا (من ص ٦٠ الى ٣٤٧) يعرض فيها أولا للمؤلفات التى عنيت بتقديم عرض شامل للاسلام ، ثم لتلك التى عنيت بأحوال العرب قبل الاسلام ، وحياة محمد وتعاليمه ، والقرآن والحديث ، والفقه ، والعقائد ، والتصوف ، والطرق الصوفية ، وتقديس الأولياء ، والسحر ، والفرق الإسلامية ، والإسلام والتبشير .

ويخصص المؤلف فصلا للفلسفة الاسلامية ، التي يقول عنها : إنه كان لها تأثير حاسم على فلسفة العصور الوسطى في أوربا ، كما يفرد فصلا للفن الإسلامى الذى يقول عنه : إن قيمته الجمالية الرفيعة ، وأهميته العظيمة بالنسبة للتطور العام للفن لم تعرف إلا منذ زمن قريب .

وبالاضافة الى كل هذه الموضوعات . . هناك فصول أخرى فى الكتاب ، خصصت لببليوجرافيا الإسلام بصفة عامة ، وبلاد الإسلام وشعوبه ، وتاريخ الإسلام السياسى ، وحضارة الاسلام ، وفي النهاية فصل عن آداب العرب والفرس والأتراك .

والمؤلف لا يزعم أنه قدم حصرا شاملا لكل المؤلفات ، التى اهتمت بالجوانب المختلفة للاسلام والحضارة الاسلامية ، وفى هذا الصدد يقول :

إنه ليس هناك من يشعر بالقصور والنقص فى هذه المحاولة الأولى أكثر مما يشعر المؤلف ، ولكنه يردد فى هذا المقام المثل العربى القديم : « مالا يدرك كله لايترك كله » فبعض المعرفة خير من الجهل التام .

ونحن نترجم هنا أحد فصول هذا الكتاب ، وهو الفصل الخاص بالمؤلفات التى اهتمت بتقديم عروض شاملة للدين الاسلامى ، ونقوم فى الوقت نفسه بالتعريف بالمستشرقين ، الذين ورد ذكرهم في هذا الفصل[1] ، وكذلك بالتعليق على بعض المسائل التى وردت فيه ونرى أنها فى حاجة الى تعليق .

وقد قمنا أيضا بتقسيم الموضوع إلى فقرات مستقلة ، ووضعنا لها عناوين خاصة تحمل فى أغلبها اسم المستشرق الذى تتناوله كل فقرة على حدة .

والمعلومات التى يتضمنها هذا الفصل معلومات على جانب كبير من الأهمية ، لأنها تصور لنا موقف أئمة المستشرقين ـ من مختلف الجنسيات وبشتى اللغات ـ من الإسلام ، طوال ما يقرب من قرنين وربع من الزمان ، أى من

---

١ ـ من بين الكتب التى رجعنا إليها فى هذا الصدد كتاب « المستشرقون » لنجيب العقيقى ، ودائرة المعارف الإسلامية وغيرهما من مراجع متفرقة .

بداية القرن الثامن عشر إلى نهاية الربع الأول من القرن العشرين[1] . ولكن عرض الخطوط الرئيسية للفكر الاستشراقى هنا لا يغنى بطبيعة الحال عن دراسة هذا الحشد الزاخر من مؤلفات المستشرقين دراسة واعية ، ومن ناحية أخرى نجد أن الكتاب قد وقف بنا عند عام ١٩٢٣م ، وليس هناك أحد ـ فيما نعلم ـ قام بمحاولة أخرى لاستكمال العمل الذى بدأه « بفانمو للر » .

وسنقوم ـ إن شاء الله ـ فى مناسبات أخرى بترجمة بعض الفصول الهامة ، المتعلقة بالنبى ﷺ وسيرته وتعاليمه ، وبالقرآن والحديث .

وفيما يلى ترجمة الفصل الخاص بالإسلام بصفة عامة :



١ ـ يعترف المستشرقون بأن كتابات الأوربيين عن الإسلام فى العصور الوسطى كانت بصفة عامة كتابات غير علمية ، ومبنية على التعصب والجهل بالاسلام رمصادره الأصلية . انظر حول موقف الغرب من الاسلام فى العصور الوسطى كتاب R.W Southern « نظرة الغرب إلى الاسلام فى القرون الوسطى » ترجمة د . على فهمى خشيم ود . صلاح الدين حسن ، ومراجعة الاستاذ عمر الدسوقى . دار مكتبة الفكر . طرابلس ـ ليبيا ١٩٧٥ .

ترجمة وتعريف

أدريان ريلاند

لقد كان أول من قام بعرض علمى للدين المحمدى[1] هو الاستاذ « هادريان ريلاند » (١٦٧٦ - ١٧١٨) Hadrian Reland أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا .

ويقع كتابه عن الإسلام في جزئين[2] : ويشتمل الجزء الأول على خلاصة لعلم العقيدة الاسلامية ، استنادا إلى مصادر بالعربية واللاتينية ؛ أما الجزء الثانى فإنه يصحح الآراء ، التى كانت سائدة حينذاك عن تعاليم العقيدة الاسلامية ، تلك الآراء التى كانت الى حد ما فى منتهى الغرابة .

وقد أثار الكتاب اهتماما عظيما لدرجة أنه أدى إلى إثارة الشبهات حول مؤلفه ، باتهامه بأنه يريد أن يقوم بعمل دعائى للإسلام ، في حين أنه لم يكن يقصد إلا إلى الوصول إلى تفهم سليم للدين المحمدى ، وتمهيد السبيل لمحاربة هذا الدين من جانب المسيحية ، بطريقة أفضل من ذى قبل .

وقد أدرجت الكنيسة الرومانية الكتاب فى قائمة الكتب الممنوعة Index Librorum prohibitorum . ولكن الكتاب ترجم الى اللغات الألمانية والانجليزية والفرنسية والهولندية والأسبانية ، وأصبح يعول عليه كثيرا جدا فى عرض تعاليم عقيدة « محمد » .

---

١ - أغلب المستشرقين مولعون باستمرار بوصف الإسلام بأنه الدين المحمدى ، أو المذهب المحمدى Mohammedanism نسبة إلى « محمد » كما تنسب المسيحية إلى المسيح ، ولكن هناك سببا آخر لاستخدام هذا الوصف لدى الكثيرين منهم ، وهو إعطاء الانطباع بأن الإسلام دين بشرى ، من صنع محمد وليس من عند الله . أما نسبة المسيحية إلى المسيح فلا تعطى لديهم هذا الانطباع لاعتقادهم بأن المسيح ابن الله .

٢ - ظهر الكتاب باللاتينية عام ١٧٠٥ تحت عنوان : De religione Mohammedica libri duo وقد أعيد طبعه عام ١٧١٧م ، وله بالإضافة إلى ذلك مؤلفات أخرى منها :
كتاب فى الجهاد ، والجغرافيا والآثار فى فلسطين ، وتعليم المتعلم للزرنوجى ، وفى مقدمته فهرس لجميع النصوص العربية ، المطبوعة فى أوربا حتى أيامه .

وتثير مقدمة هذا الكتاب اهتماما خاصا ؛ فهنا يتحدث « ريلاند » عما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها ؛ إما بعدم فهمها ، أو برميها بكل سوء ، بطريقة تنبىء عن قصد خبيث . وهكذا افترى الوثنيون على اليهودية والمسيحية ، وهكذا أيضا نظر الرومان الكاثوليك إلى اتباع « مارتن لوثر » وإلى دعاة الاصلاح حينذاك نظرتهم إلى المحمديين .

أجل ، لقد كان على المؤلف أن يخشى أيضا أن يعطى عمله هذا عن الطبيعة الحقيقية للدين المحمدى دافعا لخصومه للاستمرار في نشر هذه الافتراءات ، وقد كان على حق فى تخوفه - كما رأينا - .

ولكن « ريلاند » مع ذلك لايريد أن يثنيه هذا الخوف العارض عن عزمه . « فالمرء يجوز له حقا ان يبحث عن الحقيقة حيثما كانت » ومن أجل ذلك يريد أن يعرض في كتابه دين « محمد » لا كما يظهر من خلال ضباب الجهل ، وخبث الناس ، وإنما « كما يدرس حقيقة فى مساجد المحمديين ومدارسهم » .

إنه إذا كان هناك في أى وقت من الأوقات دين في هذا العالم قد احتقر من جانب خصومه ، ورمى بكل سوء ، فانه هو هذا الدين المحمدى ؛ فإن من يريد أن يصف نظرية من النظريات بوصف مشين نجده يصفها بأنها نظرية محمدية ، كما لو أنه لا يوجد في تعاليم « محمد» شىء صحيح ، وأن كل ما فيها فاسد .

وإذا كان لدى أحد قصد حميد فى التعرف على الدين المحمدى ؛ فلا تقدم له إلا الكتب المضادة الخبيثة والمليئة بالأضاليل .

إنه بدلا من ذلك ينبغى على المرء أن يتعلم اللغة العربية وأن يسمع « محمدا » نفسه وهو يتحدث فى لغته ، كما ينبغى على المرء أيضا أن يقتنى الكتب العربية وأن يرى بعينيه هو ، وليس بعيون الآخرين .

وسيرى المرء حينئذ أن المحمديين ليسوا مجانين كما نظن ، فقد أعطى الله العقل لكل الناس ، وقد كان من رأيى دائما : أن ذلك الدين الذى انتشر انتشارا بعيدا ، فى آسيا ، وافريقيا ، وفى اوربا أيضا ، ليس دينا ماجنا ، أو دينا سخيفا ؛ كما يتخيل كثير من المسيحين » .

صحيح ؛ إنه دين سيء جدا ، وضار بالمسيحية إلى حد بعيد ، ولكن . . ألا يجوز لذلك أن يبحثه المرء ؟ ألا ينبغي للمرء أن يكتشف أعماق الشيطان وحيله ؟

إن الأحرى بالمرء هو أن يسعى للتعرف عليه حقيقة ، لكى يحاربه بطريقة أكثر أمانا ، وأشد قوة !

أ ـ جورج سيل

وبجانب عمل « ريلاند » نجد فى المقدمة التمهيدية التى جعلها جورج سيل[1] G.Sale مقدمة لترجمته للقرآن ـ عرضا شاملا لنظام الدين الإسلامي ، ونظام شريعته ، وقد استطاعت هذه المقدمة أن تثبت وجودها زمنا طويلا جدا ، كمصدر علمى موثوق به فى هذه الموضوعات .

وقد جعلت فى عام ١٨٤١ مقدمة للترجمة الفرنسية للقرآن التى قام بها كاسيميرسكى[2] Kasimirski وأعيد طبعها كذلك منذ ذلك الحين .

وتتناول هذه « المقدمة المؤقته » بطريقة مفصلة الموضوعات التالية :

١ ـ تاريخ العرب ودينهم قبل عصر محمد .

---

١ ـ جورج سيل (١٦٩٧ ـ ١٧٣٦) مستشرق انجليزى ، اشتد اهتمامه بالاسلام حتى وصف بأنه نصف مسلم . ترجم القرآن من العربية مباشرة إلى الانجليزية ، ونشرت الترجمة فى لندن عام ١٧٣٤ ، وقد اشتملت على حواشى ، وشروح ، ومقدمة مسهبة عن الدين الاسلامى بصفة عامة ، وهى تلك المقدمة التى يشير إليها « بفانموللر » وقد تضمنت الكثير من الإفك واللغو والتجريح .

وقد قام بترجمة هذه المقدمة إلى العربية « ابن الهاشم » العربى (القاهرة ١٩١٣) ، ونقل « تيودور أرنولد » ترجمة « سيل » للقرآن إلى الألمانية عام ١٧٤٦ ، وأشار « فولتير » إلى ترجمة سيل فى القاموس الفلسفى ، مما يدل على النجاح الذى صادفته هذه الترجمة فى أوربا فى عصرها .

٢ ـ هو ألبير كاسيميرسكى (١٨٠٨ ـ ١٨٨٧) تخرج فى جامعة برلين ، ورحل إلى الشرق ، واستقر فى فرنسا . قام بترجمة القرآن للفرنسية ترجمة تفتقد شيئا من الأمانة العلمية ، والتمكن من البلاغة العربية ، ومن أعماله أيضا « المعجم العربى الفرنسى » فى جزئين كبيرين .

٢ - وضع المسيحية - وبوجه خاص الكنيسة الشرقية - ووضع اليهودية في العصر الذى ظهر فيه محمد .

٣ - القرآن

٤ - تعاليم القرآن ووصاياه الصريحة التى تتعلق بالعقيدة والتكاليف الروحية لهذه العقيدة .

٥ - محرمات معينة فى القرآن .

٦ - تنظيم القرآن للأمور الاجتماعية .

٧ - الأشهر الحرم ، ويوم الجمعة .

٨ - الفرق الرئيسية للمحمديين ، والانبياء الزائفون .

٢ - مرادجيا دوهسون

أما المؤلف الضخم الذى ألفه « مرادجيا دوهسون » Mouradgea d'Ohs-son فإنه يقدم عرضا للإسلام مبنيا على دراسة مصدرية عميقة للتشريع المحمدى وللتشريع الدينى على وجه الخصوص .

وقد ولد المؤلف فى اسطنبول فى عام ١٧٤٠ وتربى هناك ، وقد كانت لديه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره معرفة بأهم اللغات الشرقية ، واطلع على كتابات المؤلفين المحليين (الشرقيين) ، وقد استطاع أن يحصل على الكثير مما ظل محرما على غيره من الأوربيين ، وذلك بفضل الصلات والمعارف التى هيأتها له مكانته ومنصبه كسكرتير ، ومترجم وقائم بالأعمال لملك السويد فى بلاط اسطنبول ، وبفضل ثقة الوزير الأعظم نفسه فيه لسنوات طويلة .

وقد درس تعاليم الاسلام وتشريعه العام فى المصادر الأصلية بمساعدة أحد علماء العقيدة والشريعة الاسلامية . وقد جمع بلا كلل مادة ضخمة على مدى

اثنين وعشرين عاما ، وضعها فى النهاية فى مؤلف ضخم من ثلاث مجلدات من القطع الكبير[1] .

وقد اتخذ أساسا لعمله كتاب الشريعة العام المشهور الذى وضعه ابراهيم الحلبى بعنوان « ملتقى الأبحر »[2] .

ولكن « مرادجيا » قام بتقسيم محتواه إلى فصول محددة ، وأضاف إليها أفكاره وملاحظاته الخاصة (observations) . وفى هذه الملاحظات وضع

---

١ - عنوان الكتاب هو : Tableau général, de LEmpire Othoman divisé en deux parties; dont l'une comprend la Législation; Mahométane, L'autre , L'Histoire de L'Empire Othoman. وقد ظهر المجلدان الأول والثانى فى باريس من ١٧٨٧ إلى ١٧٩٠ ، أما المجلد الثالث فقد ظهر عام ١٩٢٠ بعد وفاة المؤلف ، وتولى ابنه إخراجه .

٢ - توفى ابراهيم الحلبى عام ٩٥٦هـ . وقد اهتم كثير من العلماء بشرح كتابه « ملتقى الابحر » وقد استخرج منه المستشرق الفرنسى سوفير Sauvaire (١٨٤٩ - ١٨٩٦) أبواب البيع والشراء ، والكفالة وغيرها ، والحوالة وألحق بها كتاب « مجمع الأنهر » لمحمد بن سليمان شيخ زاده ونشرهما متنا ، وترجمة فرنسية ، مع شروح وتعليقات فى مرسيليا عام ١٨٨٢ ، وهناك شروح أخرى عديدة على « ملتقى الأبحر » نذكر منها ما يلى :

أ - مجمع الأنهر شرح ملتقى الأبحر . من تأليف شيخ زاده (١٠٧٨هـ) مطبوع على هامش ملتقى الأبحر .

ب - جرى الأنهر على ملتقى الأبحر . من تأليف نور الدين على الباقانى القادرى الانصارى . فرغ من تأليفه عام ٩٩٥هـ . مخطوط بمكتبة الأزهر رقم (٣٣٦) ٧٣٨٣ .

ج - الدر المنتقى شرح ملتقى الأبحر (مطبوع على هامش مجمع الأنهر) من تأليف الحصكفى (١٠٨٨هـ) .

د - المعادل . شرح ملتقى الأبحر : من تأليف المرعشى . مخطوط بمكتبة الأزهر رقم (٦٥٩) ١٠٩٧٤ .

ثمار دراساته وخبراته الطويلة ، ولازالت تعد حتى الآن ينبوعا حقيقيا لمعرفة الدولة العثمانية فى ذلك العصر .

وقد كان المفروض أن يشتمل المؤلف على قسمين رئيسين وهما : التشريع وفيه الحديث أيضا عن الدين ، والقسم الثانى التاريخ . وقد ألقى « مرادجيا » فى مقدمة تمهيدية نظرة مسهبة على القسمين ، ولكن لم يظهر إلا القسم الأول فقط .

ويشتمل المجلدان الأول والثانى على القانون الدينى Code reiigieux الذى ينقسم أيضا إلى العقائد والعبادات والأخلاق .

ويشتمل القسم الخاص بالعقائد على مواد العقيدة الثمانية والخمسين ، التى وضعها « عمر النسفى »[1] فى بداية القرن الثانى عشر ، وقد أضاف إليها مرادجيا شروحا هامة جدا حول وجهة النظر المحمدية فى نشأة الكون ، وحول كبار رجال الدين والأنبياء وأولياء الاسلام ، وحول الفرق الإسلامية ، وعقيدة الجبر ، والامامة وغير ذلك من موضوعات .

وأما القسم الخاص بالعبادات فإنه يتناول فيه فى خمسة أبواب الأنواع المختلفة للطهارة ، والحديث عن الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج إلى مكة ، وقد أضاف المؤلف الى كل باب ملاحظاته التى تعد على درجة قصوى من الأهمية .

وفى القسم الخاص بالاخلاق يتناول موضوعات الغذاء والكساء والعمل الإنسانى والفضائل الأخلاقية .

---

١ - يقصد كتاب العقائد النسفية الشهير لأبى حفص عمر نجم الدين النسفى المتوفى ٥٣٧هـ / ١١٤٢م وقد عرف هذا الكتاب فى أوربا منذ عام ١٨٤٣ بواسطة كوريتون Cureton الذى قام بنشره حينذاك تحت عنوان : The pillar of the Creed (Nr.2) .

ويختم المؤلف « القانون الديني » ـ وبالتالى يختم فى الوقت نفسه المجلدين الأول والثانى من الكتاب ـ بفصل عن نظام التدرج المحمدى يتحدث فيه عن العلماء والدراويش .

أما المجلد الثالث فقد ظهر بعد موت مرادجيا ، وقد قام ابنه باخراجه من واقع مخلفات والده . وينقسم هذا المجلد الى قسمين : يشتمل القسم الأول منهما على القوانين أو التشريعات السياسية والعسكرية والمدنية وتشريعات القضاء والعقوبات ، في حين يصف القسم الثانى وضع الامبراطورية العثمانية .

وتشكل النقوش الرائعة زينة خاصة لهذا المؤلف الضخم ، تلك النقوش التى تعطى صورة وافية عن عالم الحضارة التركية حينذاك في جميع جوانبها .

٤ ـ جارسين دى تاسى

ولدينا بحوث متعددة تتعلق بمعرفة الدين المحمدى للمستشرق الشهير جارسين دى تاسى [1] Garcin de Tassy . ويشتمل كتابه الخاص بعرض العقيدة الاسلامية Exposition de la foi Musulmane على ترجمة لكتاب

---

١ ـ هو جوزيف هيليود ور جارسين دى تاسى (١٧٩٤ ـ ١٨٧٨) تخرج فى العربية على يد المستشرق المعروف دى ساسى ، وتولى بعده تحرير المجلة الأسيوية ، فنشر فيها كثيرا من الدراسات القيمة ، بالاضافة إلى العديد من الأعمال : تأليفا ، أو ترجمة ، أو تحقيقا فى موضوعات إسلامية وعربية .

برکوی[1] birgewi (١٥٢٢ - ١٥٧٣) الذى يعد بمثابه كتاب مدرسى فى تعليم العقيدة الدينية فى الدولة العثمانية .

أما كتابه : تعاليم الدين الاسلامى وتكاليفه والذى ظهرت طبعته الثالثة[2] تحت عنوان L'Islamisme D'apres de Coran, L'enseignement doctrinal et la pratique

فانه يتناول - بعد مقدمة قصيرة ، وبعد إيراد الآيات القرآنية المتعلقة بمحمد وبعثته - يتناول « تعاليم الدين الاسلامى وتكاليفه » فى أربعة وعشرين فصلا باقتباسات من القرآن رتبت حسب الموضوعات ، ويتناول ترجمة لكتاب اسلامى عن الصلاة ظهر فى كلكتا .

---

١ - بركوى أوبيركيلو - هو محمد بن بيرعلى ، من علماء الدين الاتراك فى القرن العاشر الهجرى (٩٢٨هـ - ٩٨١هـ) ، تلقى علومه فى القسطنطنية والتحق هناك بالطريقة البيرامية التى هى فرع من الطريقة النقشبندية . اشتغل بالتدريس فى مدرسة بركى Birge ، وله مؤلفات وكتب تعليمية فى علوم العقيدة معظمها باللغة العربية ، وله مؤلفات أخرى فى علم القراءات والنحو العربى وبعض المسائل الفقهية .

وقد اشتهر على وجه الخصوص عن طريق كتابه المدرسى فى العقيدة باللغة التركية وهو رسالة بركوى ويطلق عليه ايضا اسم « وصيت نامه » وهو الكتاب الذى قام « جارسين دى تاسى » بترجمته إلى الفرنسية عام ١٨٢٢ ، وقد طبع الكتاب مرارا وترجم ترجمات مختلفة ، وقد أورد بروكلما قائمة بمؤلفات بركوى . انظر ايضا : على بن بالى : « العقد المنظوم فى ذكر افاضل الروم » ص ٤٣٠ وما بعدها على هامش كتاب « وفيات الاعيان » لابن خلكان طبعة القاهرة ١٣١٠هـ .

راجع : Handwoerterbuch des Islam. (Leiden, 1976) .

٢ - ظهر الكتاب عام ١٨٢٦ وأعيد طبعه عام ١٨٤٠ ، وظهرت الطبعة الثالثة بالعنوان الجديد عام ١٨٧٤ .

٥ - راينهارت دوزى

أما كتاب راينهارت دوزى[1] Reinhart Dozy عن تاريخ الاسلام Essai sur l'histoire de L'Islamisme والذي ظهر في الأصل باللغة الهولندية في هارلم Haarlem عام ١٨٦٣ تحت عنوان Het islamisme فإنه - وإن لم يكن أيضا مبنيا على نظرات وتأملات شخصية - مبنى على دراسات عميقة، وقراءات شاملة، ومعرفة دقيقة بالموضوع.

---

١ - ولد دوزى فى ليدن بهولنده (١٨٢٠ - ١٨٨٣) من أسرة فرنسية عرف معظم أفرادها بحب الاستشراق . كان متضلعا فى اللغات السامية وعمل أستاذا للعربية فى جامعة ليدن من عام ١٨٥٠ الى ١٨٧٨ ، وكان يكتب باللاتينية والفرنسية والانجليزية والأسبانية والألمانية والهولندية . ويعد فى أوساط المستشرقين أول رائد فى الدراسات الأندلسية ، وتعتبر مؤلفاته فى هذا المجال مرجعا هاما فى تاريخ الأندلس وثقافتها وحضارتها . ومن بين المؤلفات المختلفة والدراسات العديدة التى قام بها نخص بالذكر ما يأتى :

- ملاحظات على بعض المخطوطات العربية - فى ٢٦٠ صفحة - (ليدن ١٨٤٧ - ١٨٥١) .

- فهرس المخطوطات الشرقية في جامعة ليدن ١٨٥١ .

- تاريخ المسلمين فى اسبانيا الى فتح المرابطين لها - فى أربعة أجزاء (ليدن ١٨٤٩ - ١٨٦١) . ويقع الكتاب فى ١٤٦٠ - وقد تناول فى الجزء الأول الحروب الأهلية ، وفى الثانى النصارى والمرتدين ، وفى الثالث الخلفاء ، وفى الرابع ملوك الطوائف .

- نظرات فى تاريخ الاسلام وبحوث فى تاريخ اسبانيا وآدابها فى العصر الوسيط - فى جزءين - الطبعة الثالثة ١٨٨١ .

- فهرس المخطوطات الشرقية فى المجمع الهولندى بامستردام (ليدن ١٨٥١) .

- تاريخ الاسلام منذ فجره حتى عام ١٨٦٣ . وقد كتبه بالهولندية ونقله شوفين الى الفرنسية (ليدن ١٨٧٩) .

وقد اهتم المؤلف بتتبع الاسلام عبر عصور تاريخه كلها حتى الآن ، وعبر حدوده الواسعة كلها ؛ لكى يبين مسار تطوره ، ويبين فى الوقت نفسه صُوَرهُ المتميزة ، التى اتخذها فى البلاد المختلفة ، تحت تأثير ظروف خاصة ، وتحت تأثير شخصيات واتجاهات عقلية لها شأنها .

وعلى الرغم من هذا الشمول الظاهرى فإن الكتاب يعانى فى أحد جوانبه من اتجاه واحدى ؛ فنحن نحصل منه على تاريخ « الكنيسة » الإسلامية فقط ـ اذا جاز هذا التعبير ـ ولكننا لا نعرف من الكتاب شيئا عن تاريخ الإسلام السياسى ، وعن تاريخ حضارته على وجه الخصوص إلا اقل القليل .

وإنه لمن المستحيل رسم صورة للاسلام حسب ظهوره فى التاريخ العالمى كله ، إذا لم يلق المرء فى الوقت نفسه نظرة على تاريخه الخارجى ، وعلى الخلافة وانقساماتها ، وتطور أهم الدول الرئيسية ، والأسر الحاكمة ، والعناية بصفة خاصة بوصف إنجازات الإسلام ، أو أحواله فى المجال الحضارى ، والاجتماعى ، أى فى العلم والشعر والمؤسسات القانونية ومؤسسات الدولة وشئون المدارس والحياة المنزلية والمؤسسات الاجتماعية ، أو على الأقل محاولة تحديد خصائصها ، وقد مر « دوزى » على هذه المجالات الهامة كلها مرورا عابرا .

وفى فصل تمهيدى قام « دوزى » ببحث مسألة الدين الأصلى لبلاد العرب ؛ معتمدا بصفة أساسية على آراء شبرنجر[1] Sprenger

١ ـ شبرنجر (١٨١٣ ـ ١٨٩٣)مستشرق نمساوى الأصل ، تجنس بالجنسية البريطانية عام ١٨٣٨ . أرسلته شركة الهند الشرقية الى الهند ، وولته الحكومة رئاسة الكلية الاسلامية فى دلهى ثم مدرسة كلكتا ، وعينته مترجما للفارسية . أصدر فى دلهى أول صحيفة أسبوعية بالهند ستانية . وفى عام ١٨٥٧ عين أستاذا للغات الشرقية فى جامعة برن بسويسرا ثم اعتزل التعليم وانقطع للتأليف فى هايدلبرج . وله مؤلفات عديدة ، ونشر الكثير من المخطوطات العربية ، ومن بينها : الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى ، وتاريخ الغزنوية للعتبى ، والرسالة الشمسية لنجم الدين الكعبى ، واصطلاحات الصوفية لعبد الرازق السمرقندى ، والاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى . ومن مؤلفاته : أصول الطب العربى على عهد الخلفاء ، وسيرة محمد ـ فى ثلاثة أجزاء ـ بمعاونة نولدكه .

أما عن دين محمد فإنه يضيف قائلا : إنـه ليس شيئا آخـر غير الحنيفيـة القديمة ، أو التوحيد الحنيفى ، الذى حقق له « محمد » عقيدة ثابتة وتنظيمات معينة ، وأشكالا للعبادة ، وحقق له على وجه الخصوص تبريرا إلٓهيا ؛ وأما الشىء الوحيد فى ذلك فقد كان هو ادعاؤه بأنه رسول الله .

ولكن « دوزى » لم يدع مجالا للحديث عما ثبت أن « محمـدا » أخذه من اليهودية والمسيحية والديانة الفارسية[1] Parsismus .

ثم يتحدث دوزى بعد ذلك فى فصلين : أولهما بعنوان « محمد قبل الهجرة » وثانيهما بعنوان « محمد بعد الهجرة » ـ يتحدث عن شخصية النبى ، وحياته ، وتعاليمه ، والظروف التى مرت به ، وتأثيره ، وكذلك يتحدث عن تطور دينه وانتشاره إلى حين وفاته .

أما عن موقف محمـد الباطنى بـالنسبة لعمله ؛ فـإن المرء لا يستـطيع أن يستخلص من كتاب « دوزى » حكما محـددا بهذا الخصـوص : فتارة يـظهر « محمد » كشخص مريض ، وكذاب ، وغشاش عن عمـد ؛ وتارة أخـرى يظهر مقتنعا بأنه صاحب عقيدة جيدة ، ومقتنعا بمهمته الإلٓهية مثل « بولس » أو أى شخص آخر .

وبعد ذلك يأتى فصل عن « القرآن والسنة والأساطير » .

---

١ ـ هناك اصرار من جانب أغلب المستشرقين على أن الاسلام دين بشرى . ومن هذا المنطلق يحاولون جاهدين البحث عن جذور هذا الدين فى الديانات القديمة السماوية والطبيعية والوثنية ـ وقد أعماهم هذا الافتراض الباطل عن ادراك جوهر الإسلام وفهم رسالته ، فراحوا يتخبطون فى احكامهم عليه وعلى نبيه .

ويوم تزول الغشاوة عن الأعين ويتجهون الى بحث الاسلام وهم ينشدون الحقيقة المجردة ، غير مثقلين بأفكار مسبقة أو أحقاد صليبية قديمة كانت أم حديثة ـ عندئذ فقط سيكون من السهل عليهم التوصل الى رؤ ية حقيقة الاسلام الناصعة وهى أنه دين الله .

ويقول « دوزى » عن « القرآن » إنه كتاب ذو ذوق رديء للغاية ، وليس فيه شيء جديد إلا أقل القليل وفيه إطناب بالغ وممل إلى حد بعيد[1] .

أما قراءة السنة فإنها أمر أكثر جاذبية ، ولكنها اشتملت على المعجزات التى لم يعرفها « القرآن » .

ويتحدث الفصل التالى لذلك عن التعاليم والعبادات : أما التعاليم فقد عولجت بطريقة مختصرة للغاية ؛ فقد تم الحديث عن العقيدة فى صورة خطوط عريضة فى صفحتين فقط ؛ وأما التعاليم الخلقية فقد جاء الحديث عنها بصفة عرضية فقط[2] .

وفى الفصلين التاليين يعود « دوزى » لاستكمال الحديث عن التاريخ ، ابتداء من وفاة « محمد » ولكن التاريخ السياسى لم يجد العناية المناسبة .

---

١ - ليس بغريب أن يصدر مثل هذا الهراء من دوزى وأمثاله مادام يبنى احكامه على افتراضات باطلة . ولاشك أن دوزى لم يفهم القرآن ، أو بمعنى أصح لم يرد أن يفهم القرآن ، ولم يدرك ما ينطوى عليه من اعجاز وفصاحة وبلاغة أجبرت المشركين على الاعتراف بها ، فراح مندوبهم الوليد بن المغيرة يردد بعد سماعه للقرآن « والله ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة ، وان اعلاه لمثمر ، وان اسفله لمغدق ، وانه يعلو وما يعلى ، وانه ليحطم ما تحته » .

ولدوزى وأمثاله يقول القرآن : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ؟﴾ .

٢ - من الغريب أن يتحدث « دوزى » فى مجلدات مطولة عن الجوانب التاريخية للاسلام ، ثم يتحدث عن التعاليم الخلقية للإسلام بصفة عرضية ، وهو يعلم أن النبى ﷺ قد لخص رسالته كلها فى تلك العبارة الجامعة حين قال « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » . ولكن يبدو أن القصد هو إخفاء الصورة المشرقة لتعاليم الإسلام ، والتركيز فى عرض الإسلام على جوانب معينة ، تبدو لدوزى وأمثاله نقاط ضعف ، أو جوانب سلبية . وهكذا العين المريضة لا تستطيع أن ترى الشيء على حقيقته - فما بالك إذا كان القلب مريضا وعليه أقفال ثقيلة . . !

وفى الفصول التالية لذلك يتناول الفرق الكثيرة ، والاتجاهات الكلامية ، والحركات الخاصة المماثلة داخل الإسلام السنى ، وذلك تحت العناوين التالية : « الفرق الاولى » و « الإسلام في عهد الحكم العباسى الأول » و « الاسماعيلية » و « الصوفية » ، ويبدو أن المؤلف قد وضع الثقل الرئيسى للبحث فى هذا القسم .

أما الفصل الذى جاء بعنوان «الاسلام فى الغرب » فإنه يتناول فيه أسبانيا وشمال افريقيا .

وبعد الحديث عن « الأتراك والمنغوليين والهند والصين » وبعد الحديث بإسهاب عن « الوهابيين » وجهودهم الإصلاحية فى تطهير العقيدة ، يأتى فصل ختامى تفصيلى عن « وضع الإسلام فى العصر الحاضر » .

وفى هذا الفصل يلقى المؤلف نظرة عامة على البلاد المحمدية فى العصر الحاضر ويصفها بناء على العقيدة الدينية والحياة ودور العبادة والعادات ، كما يتمثل ذلك كله فى الحياة العملية . وقد خصص نصف هذا الفصل تقريبا لبلاد الفرس ويأتى فى المقابل لها الدولة التركية التى تعد المقر الرئيسى للاتجاه السنى .

وفى النهاية يعرض المؤلف لمسألة المصير المستقبلى لهذا الدين ، وعما إذا كانت المسيحية ستتغلب عليه وتزاحمه ؟ ويرى أن انهيار الإسلام أمر غير متصور ، وأنه بالأحرى سيعيش طويلا ثابت الأركان ، مثل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية .

٦ - ألفريد فون كريمر

يرجع الفضل العظيم الى ألفريد فون كريمر[1] Alfred von kremer في أنه كان أول من نظر إلى الإسلام من جانب تاريخ الحضارة ، وقد رسم فى كتابه « تاريخ الافكار السائدة فى الإسلام » الخطوط الرئيسية لتاريخ الحضارة العام للإسلام .

وغاية الكتاب هى إبراز الأفكار السائدة فى الإسلام بوصفها « قوانين لا تتغير أبدا » لتطور الحضارة وفى الوقت نفسه باعتبارها دليلا لكتابة التاريخ فى المستقبل .

وقد بدت مثل هذه الأفكار للمؤلف متمثلة فى مفهوم : الله ، والنبوة وفكرة الدولة .

ولكن هذه الأفكار الثلاثة لا تمثل إلا الإطارات فحسب ، التى أراد المؤلف أن يلخص فيها تأملاته وأبحاثه ، وهى إطارات ضيقة جدا ، بالنسبة لعرض التطور الحضارى الإسلامى الشامل ، كما أن التقسيم فى حد ذاته غير متين .

فالباب الأول والثانى كثيرا ما يتداخلان ، أما الباب الثالث فقد كان ينبغى أن يتقدمها . واذا كان هناك قصور فى الكتاب من حيث الشكل فان المهمة التى أخذها المؤلف على عاتقه من حيث المادة قد تم حلها بطريقة شاملة .

---

١ - هو البارون فون كريمر (١٨٢٨ - ١٨٨٩) ولد فى فيينا وتخرج فى جامعتها ، أرسلته دولته قنصلا لها فى مصر ثم فى بيروت (١٨٧٠) ثم استدعته لوزارة الخارجية وغيرها من الوزارات فعرف بجده السياسى ونشاطه الاستشراقى . وقد نشر كثيرا من المخطوطات العربية منها : المغازى للواقدى ، والأحكام السلطانية للماوردى ، والاستبصار فى عجائب الأمصار . وله مقالات وبحوث عديدة فى شعراء الاسلام . ومن مؤلفاته : آثار اليمن ، وتاريخ الفرق فى الاسلام ، وتاريخ الحضارة فى المشرق تحت حكم الخلفاء - فى جزئين - (نقله الى العربية مصطفى بدر ١٩٥٧) ، وتاريخ الأفكار السائدة فى الاسلام .

وقد كان دقيقا ـ على وجه الخصوص ـ في تصوير المراتب الثلاثة للتطور فى شكل الدولة ، وكذلك ما يتمثل فى داخل هـذه المراتب من فتـرات التطور الدينى ، ويتمثل التألق ـ بوجه خاص ـ فى تصوير خصائص التصوف .

والمؤلف مولع بتناول العصر المتأخر للإسلام ، فهو لا يتطرق إلى الازدهار الكلاسيكى للإسلام فى القرن الأول إلا فى أقل القليل ، ويركز على العصر اللاحق ، الذي يمتد حتى العصر الحديث ؛ وأكثر أقسام الباب الثالث أصالة هو القسم الذى يصور فيه الخطوط العريضة للسلطنة ، بـاعتبارهـا الصورة الحديثة للدولة ، أما الباب الأول والثانى فإنهما لا يستطيعان أن يقدما إلا القليل بجانب التصوير الرائع لدوزى وأبحاث شبرنجر .

وبعد كتاب « فون كريمر » (جولات تاريخية حضارية فى حقل الإسلام) تكملة لكتابه « تاريخ الافكار السائـدة فى الاسلام » . وقـد بدا فيـه ولوع المؤلف ببحث تلك الجـوانب التى حـدثت فيهـا التـأثيـرات الأجنبيـة عـلى الإسلام ، وتلك التى يمكن فيها إثبات بقايا لاشكال الحضارة القديمة ، تحت الطبقة الكثيفة للأفكار المحمدية ، وتحت أنقاض القرون ، وإن كانت هذه البقايا غالبا ما تكون أيضا مشوهة إلى حد الطمس[1] .

وبهذه الطريقة نشأت صورة على شاكلة الفسيفساء وان كانت فى الغالب أيضا صورة غير تامة ـ للتأثيرات الأجنبية على الاسلام . وقد اقتصر كريمر هنا على عصور الخلافة ، وحاول وصف بعض التحولات التى لها أهمية أكثر من

١ ـ سبق أن أشرنا الى الأسلوب الخاطىء للمستشرقين فى تناولهم للاسلام كدين من حيث البحث عن التأثيرات الأجنبية عليه بناء على فرضيات باطلة . وهنا نشير الى أنه اذا كان المقصود بيان أن هناك تأثيرات أجنبية على حضارة الاسلام فان الأمر يختلف ، اذ أن الاسلام لم يرفض أى عنصر من العناصر الايجابية التى وجدها فى الحضارات السابقة . ومن هذا المنطلق لم يرفض المسلمون ما وجدوه فى حضارة غيرهم نافعا لهم فى مسيرتهم الحضارية فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها ، والمبدأ القرآنى يقول : ﴿ **فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** ﴾ .

غيرها ، والتى حدثت بتأثير من الأفكار الأجنبية ، وهى ليست مجرد تحولات دينية ، وانما هى أيضا تحولات اجتماعية وتاريخية حضارية .

٢ — سنوك هورجرونجه

فى عام ١٨٨٦ نشر بحث أساسى لسنوك هورجرونجه[١] Snouck Hurgron je بعنوان « الاسلام De Lslam » فى المجلة الهولندية « De gids » وهو عبارة عن عرض كلاسيكى لتطور العقل الإسلامى . فبعد إلقاء نظرة عامة قصيرة على تاريخ البحوث المتعلقة بحياة محمد من هوتنجر[٢] Hottinger الى نولدكه[٣] Noeldeke يقدم سنوك هورجرونجه فى البداية نبذة عن حياة محمد وتعاليمه .

---

١ - سنوك هورجرونجه (١٨٥٧ - ١٩٣٦) مستشرق هولندى . زار مكة عام ١٨٨٤ منتحلا اسما اسلاميا هو عبد الغفار ، وأقام هناك فى سوق الليل مدة خمسة أشهر ثم غادرها قبل موسم الحج - عين أستاذا للعربية فى جامعة ليدن (١٩٠٧ - ١٩٢٧) وكان يجيد اللغة العربية اجادة تامة - يعد عميد العربية بعد جولد تسيهر وفى طليعة الرواد فى دراسات الفقه الاسلامى والأصول والتفسير والحديث فى أوربا . ومن مؤلفاته : الحج الى مكة (بالهولندية) ، والمهدى (بالالمانية) ، ومكة وجغرافيتها فى القرن التاسع عشر - فى جزئين بالالمانية - وقد وصفها وصفا دقيقا شاملا مع خرائط عديدة - وله بحوث كثيرة عن طابع الاسلام ، وانتشاره ، وابراهيم فى القرآن ، والاسلام والمشكلة العنصرية ، وسياسة النبى الدينية ، ومجموعة دراسات عن الاسلام وتاريخه وشريعته ، وبلاد العرب وتركيا والهند ، واللغة والأدب .

٢ - هوتنجر (١٦٢٠ - ١٦٦٧) مستشرق سويسرى ، ولد فى زيوريخ ، عمل أستاذا للغات السامية فى كل من زيوريخ وهايدلبرج . ومن مؤلفاته : تاريخ الشعوب الشرقية ، وفهرس المصنفات الشرقية (هليدلبرج ١٦٥٨) ، ومعجم مختلف اللغات ، والآثار الشرقية ، ومجموعة مباحث شرقية .

٣ - هو تيودور نولدكه (١٨٣٦ - ١٩٣٠) مستشرق ألمانى ، عمل أستاذا للغات السامية والتاريخ الاسلامى فى جامعات جوتجن وكيل واشتراسبورج .

وكان متضلعا فى العربية واللغات السامية والفارسية والتركية والحبشية والآرامية ، بالاضافة الى اتقانه لليونانية والألمانية والانجليزية والفرنسية والأسبانية

وفى الفصل الثانى يتناول صراع « محمد » مع اليهودية والمسيحية فى المدينة ، وتصالحه مع الوثنية العربية[1] أما الفصل الثالث فيخصصه للحديث عن كتاب الله وسنة رسوله وقضية الاجماع ؛ وفي الفصل الرابع يصور عقيدة الإسلام ، ويتحدث عن علم العقيدة ، ويتناول التصوف على وجه الخصوص ؛ أما الفصل الختامى فإنه يعرض فيه لعلاقة الإسلام بأوربا ، وواجب أوربا تجاه الإسلام .

وقد قدم سنوك هورجرونجه فى كتابه Groote Godsdiensten عرضا شعبيا شاملا للدين الإسلامى ، اشتمل على الانتشار ، والبدايات ، وتقسيمات الفرق ، والتطور التشريعى ، ومضمون التشريع ، والتطور العقدى ، ومضمون الكتب الدينية ، والتصوف ، وتقديس الأولياء .

وتعد أيضا المحاضرات الأربعة التى ألقاها « سنوك هورجرونجه » بناء على طلب من « اللجنة الأمريكية للمحاضرات المتعلقة بتاريخ الأديان » ذات قيمة كبيرة ، وفى هذه المحاضرات يتحدث عن مصدر الإسلام ، وعن تطوره الدينى ، وتطوره السياسى ، وعلاقة الإسلام بعالم الافكار فى العصر الحديث .

= والأيطالية . ومن مؤلفاته : تاريخ القرآن ، وفكرة عامة عن حياة محمد . وقد عاون شبرنجر فى كتابه سيرة محمد ، وأسهم فى نشر تاريخ البلدان للطبرى ، وترجم إلى الألمانية الجزء الخاص بالساسانيين ، وله أيضا قواعد اللغة السريانية ، وتاريخ الشعوب السامية ، ودراسات فى قواعد اللغة العربية ، وعشرات البحوث والمقالات عن شعراء العرب واللغات الشرقية والدراسات الاسلامية ، وترجمات لبعض المؤلفات العربية .

١ - يقصد صلح الحديبية .

٨ ـ اجناتس جولد تسيهر

إن أعـظم الباحثـين في الإسـلام فى العصـر الحـاضـر ـ بجـانب سنـوك هورجرونجه ـ هو اجناتس جولد تسيهر[1] Ignaz Goldziher . وأول مؤلفاته الكبيرة عن تاريخ الدين المحمدى ـ الذى كتبه للأسف باللغة المجـرية ـ لا يقدم صورة كاملة للإسلام وتطوره ، ولكنه يقدم نظرة أكثر عمقا فى الظواهر الجزئية ، وعوامل تـاريخ الـدين المحمدى ، ويحتـوى هذا الكتـاب بصورة تقريبية على ما يأتى :

---

١ ـ اجناتس جولد تسيهر (١٨٥٠ ـ ١٩٢١) مستشرق من اصل مجرى . عمل استاذا فى جامعة بودابست ، سافر الى سوريا وصحب هناك الشيخ طاهر الجزائرى ثم رحل الى فلسطين ومصر والتقى هناك بالشيخ محمد عبده وغيره من مشايخ الأزهر ـ بعد من أعلام المستشرقين المشهود لهم بطول الباع ، كما يعد من كبار ائمة الدراسات الاسلامية فى أوربا . كتب العديد من المقالات عن الاسلام فى المجلات الأسيوية والغربية بالألمانية والأنجليزية والفرنسية والروسية والمجرية والعربية . أما أشهر مؤلفاته فقد كتبها بالالمانية والانجليزية والفرنسية . وكانت مكتبته تضم ما يربو على أربعين ألف مجلد .

ومن مؤلفاته العقيدة والشريعة فى الاسلام (ترجمه الى العربية د . محمد يوسف موسى وآخرون) ، ودراسات اسلامية ـ فى جزئين ـ ومحاضرات فى الاسلام ، وتاريخ مذاهب التفسير الاسلامى (مترجم الى العربية) .

وقد نشر بعض المخطوطات العربية منها فضائح الباطنية للغزالى ، ونقل الى الألمانية بعض المؤلفات العربية . وله دراسات اسلامية عديدة عن القدرية ، والمرجئة ، والمعتزلة ، والحلاج ، والبخارى ، والاجماع ، والبدعة ، وتكريم الأولياء فى الاسلام ، والحديث النبوى ، والتقية فى الاسلام .

١ - دين الصحراء والاسلام .

وهنا يريد جولد تسيهر - على العكس من دولنجر Doellinger وشبرنجر وكريل[1] Krehl ورينان -[2] أن يثبت الدعويين التاليتين :

أ - محمد لم يكن تعبيرا عن روح الشعب العربي وانما كان على النقيض من هذه الروح .

ب - وهذا ما جعل من سكان الصحراء من البدو الخصوم الطبيعيين لتعاليم النبي .

٢ - مأثورات الاسلام : عرض لحقيقة السنة النبوية ونشأتها وجمعها ، تلك السنة التى لولاها لكان القرآن لا يقدم إلا صورة غير مكتملة للاسلام .[3]

---

١ - كريل (١٨٢٥ - ١٩٠١)مستشرق ألمانى ، له كتاب عن حياة محمد ودعوته (١٨٨٥) ، وقد شارك فى نشر الجزءين الأولين من نفح الطيب للمقريزى (١٨٥٥ - ١٨٦١) ، ونشر من الجامع الصحيح للبخارى ثلاثة اجزاء (ليدن ١٨٦٢ - ١٨٦٨) .

٢ - ارنست رينان (١٨٢٣ -١٨٩٢) فيلسوف ومفكر فرنسى ، درس اللاهوت وتضلع فى اللغات الشرقية واخذ بمذهب حرية الفكر ، ورحل الى الشرق ونزل لبنان وعنى بالعقائد الاسلامية .

ومن مؤلفاته : ابن رشد والرشدية (مترجم الى العربية) ، وتاريخ اللغات السامية ، وتاريخ الاديان ، وحياة يسوع ، وتقدم الآداب الشرقية .

٣ - السنة - كما يقول الامام الشاطبى - « راجعة فى معناها الى الكتاب ، فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره » ولا تجد فى السنة امرا الا والقرآن قد دل على معناه دلالة اجمالية أو تفصيلية . والسنة ليست قاضية على الكتاب وانما هى مفسرة له وشارحة لمعانى أحكامه . (راجع الموافقات للشاطبى جـ ٤ ص ١٠ - ١٢) .

٣ ـ تقديس الأولياء وبقايا الأديان القديمة فى الاسلام : مفهوم الولى وتطور التقديس الممنوح للأولياء والعقيدة الشعبية المتعلقة بذلك .

٤ ـ العمارة فى الاسلام .

٥ ـ حياة الجامعات المحمدية : الجامع الأزهر فى القاهرة أشهر جامعات الاسلام .

٦ ـ آراء خاطئة عن الاسلام .

ويقدم لنا جولد تسيهر فى كتابه « دراسات محمدية » سلسلة من البحوث المتفرقة التى يربط بينها رباط وثيق عن تاريخ الاسلام فى القرون الأولى ، وموضوع هذه البحوث هو :

أ ـ صراع المبادىء الاسلامية مع النظرة العربية الموروثة الى الحياة ، تلك النظرة التى تتعارض معها تعارضا صارخا الى حدما .

ب ـ النصر التدريجي لفكرة المساواة ـ التى تعد فكرة أساسية من أفكار الدين الجديد ـ وذلك عن طريق النهوض الذى حققه الناس وحققته شعوب كاملة تحت السيادة الأجنبية ، ويخص بالذكر من هذه الشعوب الفرس .

والامر الذى لا ينبغى أن يغيب عن الاذهان فى هذا الصدد هو ان ما جاء فى السنة الصحيحة من بيان او تفصيل او شرح لما فى القرآن أو حتى ما جاء فيها من احكام لم ترد فى القرآن لم يكن من عنديات الرسول وانما كل ذلك مرده الى الله . فالسنة شأنها شأن الكتاب فى انها من عند الله وقد اشار اليها القرآن فى كثير من الآيات بلفظ الحكمة ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ البقرة ٢٣١ ـ . ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾ ـ الاحزاب ٣٤ ـ . وجمهور المفسرين على أن المراد بالحكمة هو السنة . ويقول الامام الشافعى أيضا : « كل ما سن رسول الله مما ليس فيه كتاب ، وفيما كتبنا فى كتابنا هذا ، من ذكر ما من الله به على العباد من تعلم الكتاب والحكمة دليل على ان الحكمة سنة رسول الله » ـ الرسالة ص ٣٢ .

ويبحث « جولد تسيهر » كيف اضطرت عقلية العرب ، ونظرتهم إلى الحياة ، ووضعهم السياسى لاتخاذ موقف إزاء العقيدة الجديدة ، وأى تأثيرات مارستها خصوصيات العقلية العربية على التطور الداخلى للإسلام فى عصر الخلفاء ، وقد اهتم « جولد تسيهر » اهتماما خاصا بتاريخ الحديث النبوى (٢٣٣ وما بعدها) ويتناول مسألة تقديس الأولياء (ص ٣٠٣ ومابعدها) .

ويقدم لنا « جولد تسيهر » عرضا ممتازا للدين الإسلامي فى سلسلة « حضارة العصر الحاضر » ؛ فبعد مقدمة يصور فيها دين العرب قبل الاسلام ، ونظرتهم إلى الحياة يعطى « جولد تسيهر » فى خطوط عريضة قوية تاريخ تطور الإسلام فى ستة فصول (على النحو التالى) :

١ ـ حياة محمد وتعاليمه .

٢ ـ نمو الاسلام .

٣ ـ تكوين علم العقيدة الاسلامى وتأثير العناصر الفارسية فى عصر العباسيين (٧٥٠ـ ١٢٥٨) .

٤ ـ الانقسامات العقدية وتكوين الفرق الأولى .

٥ ـ المهدية .

٦ ـ الفرق الجديدة .

ويشهد الكتاب لمؤلفه بالاطلاع الواسع والتمكن من الموضوع . وفى كل مكان يعتمد « جولد تسيهر » على المصادر ، وفى كل مكان يجعل حملة التقدم الفكرى أنفسهم يتحدثون فى اقتباسات قصيرة وسديدة .

وتكملة لهذا التناول الرائع يقدم جولد تسيهر أيضا على الصعيد الفلسفى بحثا بعنوان : « الفلسفة الاسلامية واليهودية فى العصر الوسيط » فى سلسلة « حضارة العصر الحاضر » .

وأخيرا يقدم « جولد تسيهر » تلخيصا لعمله طوال حياته ، على صعيد تاريخ الدين الإسلامى في كتابه « محاضرات عن الاسلام » وبناء هذه المحاضرات تاريخى وليس نسقيا .

فنحن نرى الأفكار تنشأ وتنمو وتؤثر وتفنى . وهنا يفترض أن الأحداث الخارجية معروفة .

وهكذا ، لا يقدم لنا فى الفصل الأول الذى عنوانه « محمد والإسلام » شيئا عن الظروف الخارجية لحياة النبى ، ولكنه بدلا من ذلك يقدم لنا الشىء الكثير عما هو أكثر أهمية ، أى عن محمد الإنسان المتدين ! ؛ ويتناول فى الفصل الثانى « تطور التشريع » ، أما تاريخ الحديث النبوى ، الذى ندين فيه بالفضل للمؤلف ؛ فإنه يقدمه لنا هنا فى خطوط عريضة مصحوبا ببعض الأسانيد الجديدة .

ويبرز فى وضوح شديد كيف تحول الدين فى عهد العباسيين إلى « شأن مركزى من شئون الدولة » وبعد ذلك يقدم لنا وصفا لبدايات التشريع ، ثم يكتب بعد ذلك ـ بولوع خاص ـ الفصل الثالث عن « التطور العقدى » ؛ أما الفصل الرابع فقد خصصه للحديث عن « الزهد والتصوف » .

وهنا يعرض لمنشأ الزهد ويعرض للتأثيرات « الأفلاطونية الحديثة » « والبوذية » ، وقد خصص الفصلين الأخيرين للحديث عن « شئون الفرق » و « الصور المتأخرة » ، ويتحدث على وجه الخصوص بإسهاب عن الشيعة ! كما يعرض أيضا عرضا عميقا لكل من « الوهابية » « والبابية » ؛ ويختم الكتاب بمحاولات وإمكانيات حدوث تفاهم بين السنة والشيعة .

وهناك تكملة صغيرة لهذا الكتاب يقدمها فى بحثه عن « الاتجاه التوحيدى والتفرق فى الإسلام » .

وفى البداية يعرض « جولد تسيهر » فى هذا البحث للمجال الواسع الذى يوفره الإسلام للخلاف فى الرأى ، على صعيد العبادات والتشريع والعقيدة ، ولكنه يبين بعد ذلك كيف تكون بالتدريج رد الفعل ضد هذه التمزقات ؛

فكلما ازداد الاعتراف بجواز الاختلافات من نـاحية ، كلما ازداد من نـاحية أخرى وجوب التأكيد على ذلك الذى يحظى بالاتفاق من جانب كل الجماعة الاسلامية » ؛ ومن هذا الاعتبار انبثقت نظرية « الاجماع » انبثاقا ذاتيا بوصفها معيارا للتصحيح الدينى .

وتشتمل موسوعة Jewish Encyclopedia أخيـرا على مقـال ممتاز عن « الإسلام » بقلم « جولد تسيهر » يدل على اطلاع واسع .

٩ ـ ماكدونالد

اما دنكان ب . ماكد ونالد[1] Duncan B. Macdonald الأستـاذ بمعهد اللاهوت بها تفورد connecticut فقد وضع بحوثه وخبراته الغنية على صعيد تاريخ الدين الإسلامى فى ثلاث مؤلفات أساسية :

وأول هذه المؤلفات هو « تطور علم الكلام والفقه ، والنظرية الدستورية فى الإسلام »

Development of Muslim Theology; Jurisprudence and Constitutional Theory

---

١ - ماكدونالد (١٨٦٣ - ١٩٤٣) مستشرق أمريكى ، أشرف على القسم الاسلامى بها رتفورد بأمريكا لسنوات طويلة وأنشأ مجلة عالم الاسلام بمعاونة صمويل زويمر ، كما أنشأ بمعاونة سارتون مجلة إيزيس .

وله دراسات عديدة عن الدين الاسلامى وعلم الكلام والتصوف والفلسفة والفقه ودراسات فى ألف ليلة وليلة والشعر العربى واللهجات العربية والعلوم الطبيعية فى الاسلام . وقد قام بترجمة كثير من النصوص العربية الى الانجليزية منها رسالة النفس لابن سينا ، وله كتاب فى (عرض المسيحية للمسلمين) . ويصدر ماكدونالد فى كتاباته عن روح تبشيرية واضحة .

وفيـه يلقى نظرة شـاملة على تـطور علم الكـلام ، وتـطور المؤسسـات التشريعية ، والنظرية السياسية فى الاسلام ، ويتناول القسم الأول : موضوع تطور مؤسسات الإسلام السياسية ، منذ النشأة حتى ظهور الحركات الحديثة للوهابيين ، واتجاه الوحدة الاسلامية .

وفى القسم الثـانى ؛ يتناول « مـاكدونـالد » مبـادىء التشريـع المحمدى وتطوره ، فى صلتها بتطور المؤسسات السياسية ،ويبين بصفة خـاصة تـأثير القانون الرومانى ، ويكشف عن وجوه الشبه [1] .

وفى القسم الثـالث : يتناول تـاريخ الحـركات الكـلاميـة والفلسفيـة فى الاسلام ، وفضلا عن ذلك يعرض للفرق الكلامية وللمسائل التى طبعت كلا منها ، ويصور تكوين « المدرسة الاعتزالية » وتطورها بكل الفروق الدقيقـة

---

١ - ذهب فريق من المستشرقين الى الزعم بتأثر الشريعة الاسلامية بالقانون الرومانى ، جريا على عادتهم فى رد كل شىء فى الاسلام الى مؤثرات أجنبية . وقد ناقش هذا الزعم وأبطله فريق من العلماء منهم الأساتذة عبد الرزاق السنهورى وشفيق شحاته ومحمد يوسف موسى ومحمد سلام مدكور وغيرهم . يقول الدكتور السنهورى فى معرض مقارنته بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى : « فان هذا القانون بدأ عادات . . . ونما وازدهر عن طريق الدعوى والاجراءات الشكلية . أما الشريعة الاسلامية فقد بدأت كتابا منزلا من عند الله ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقى والأحكام الموضوعية . . . الا أن فقهاء المسلمين امتازوا عن فقهاء الرومان ، بل امتازوا عن فقهاء العالم باستخلاصهم أصولا ومبادىء عامة من نوع آخر هى أصول استنباط الأحكام من مصادرها وهذا ما سموه بعلم أصول الفقه » . (أصول القانون ص١٣٢) . فالصلة - كما يقول العالم الفرنسى زيس Zeys منقطعة تماما بين الشريعة الاسلامية والقانون الرومانى لاعتماد هذا على العقل البشرى بينما تقوم الشريعة الاسلامية على الوحى الالهى . . فكيف يتصور التوفيق بين نظامين قانونيين وصلا الى هذه الدرجة من الاختلاف ؟

(انظر : المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية للدكتور عبد الكريم زيدان - مكتبة القدس - بغداد ١٩٨١ ص ٧٣ - ٨٩) .

المعقدة ، حتى حدوث التصالح بين النزعة العقلية والنزعة السنية ، بفضل علم الكلام الأشعرى ، كما يتناول تأثير الفلسفة الأفلاطونية والأرسطية ، والمعارضة التى لقيتها هذه الفلسفة من جانب « الغزالى » المتكلم الكبير ، ويصف الأصوات الصوفية للنزعة التصوفية المحمدية والحكمة الالهية ، والمحاولات المتجددة باستمرار للعودة إلى التقاليد الأولى .

ويعد القسم الخاص بتصوير التصوف من أحسن أقسام الكتاب . وينبىء التصوف ـ بناء على وجهة نظر ماكدو نالد ـ عن تأثيرات أفلاطونية حديثة ، وليس عن تأثيرات بوذية ، كما يذهب إلى ذلك أيضا كل من نيكلسون ، وبراون ، وكارادى فو .

والصحيح هو أن الصوفية قد نشأت تحت تأثيرات قوية مسيحية ، وأفلاطونية حديثة ، غير أنه لا يمكن تجاهل التأثير البوذى في التطور المتأخر للصوفية[1] .

---

١ ـ لابد لنا هنا من أن نشير الى أمرين هامين :

أولا : التصوف بوجه عام من الأمور التى تتعلق بصفة أساسية بالشعور والوجدان . والنفس الانسانية واحدة لدى البشر على الرغم من اختلاف الشعوب والاجناس . ومن هذا المنطلق نجد أنه يمكن أن تصل نفس بشرية عن طريق المجاهدات والرياضيات الروحية الى ما تصل اليه نفس أخرى دون أن يكون قد تم بينهما أى اتصال .

وهذا يعنى وحدة التجربة الصوفية ولا يعنى مجرد النقل أو التأثر .

ثانيا : هناك نوعان من التصوف فى الاسلام : أحدهما هو التصوف السنى الذى يمثله أغلب متصوفة الاسلام . وهذا النوع اسلامى النشأة والتطور ترسم فى خطاه حياة النبى وصحابته والزهاد الأوائل ، وثانيهما هو التصوف الفلسفى وهو النوع المتأخر الذى يمكن أن يكون قد تأثر بطريقة أو بأخرى بعناصر أجنبية . ولسنا ننكر أن يكون بعض متفلسفة الصوفية قد تأثروا بمؤثرات أجنبية ، ولكن يجب أن يكون واضحا أن

ويورد « ماكدونالد » ملحقا يقدم فيه ـ في ترجمة انجليزية جيدة ـ سلسلة من قضايا العقيدة المحمدية التى كانت تشكل أساس التعليم ، وأساس الدراسة العقدية .

وإذا كان « ماكدونالد » قد عرض في هذا الكتاب علم العقيدة الإسلامي فإنه يصور في كتابه الثانى « الموقف الدينى والحياة في الاسلام » :

The religious Attitude and life in Islam .

السلوك الـدينى وحياة المسلمـين ، وقد استـرشد في ذلـك بكتـاب وليم جيمس[1] فى تنوع الخبرة الدينية . Varieties of religious Experience

= هذا النوع من التصوف قد ظهر بعد أن كان زهد الزهاد قد استقر فى القرنين الأولين من الهجرة على أساس اسلامى خالص ، واصبح دعامة لكل تصوف لاحق .

وعلى هذا فان ما ذهب اليه الأوائل من المستشرقين من رد التصوف الاسلامى كله الى أحد المؤثرات الأجنبية ما بين افلاطونية حديثة أو مسيحية أو فارسية أو هندية كان تعميما خاطئا . وقد تنبه الى ذلك كثير من متأخرى المستشرقين . فقد عدل نيكلسون موقفه الذى يشير اليه بفانموللر ، وقرر أنه لاضرورة للتحرى عن أصل مبادىء التصوف خارج دائرة الاسلام ، كما بحث ماسينيون مصطلحات الصوفية وأرجعها الى مصادر أربعة تتمثل فى القرآن وهو أهمها ، وفى العلوم العربية الاسلامية كالحديث والفقه وغيرهما ، وفى مصطلحات المتكلمين الأوائل ، وأخيرا فى اللغة العلمية التى تكونت فى الشرق فى القرون الستة المسيحية الأولى من لغات اخرى كاليونانية والفارسية وغيرهما . كما قرر أحد المستشرقين المعاصرين وهو سبنسر ترمنجهام Spencer Trimingham أن التصوف الاسلامى تطور طبيعى داخل حدود الاسلام ولايمت الا بصلة طفيفة للمصادر غير الاسلامية .

(راجع : مدخل الى التصوف الاسلامى للدكتور أبو الوفا التفتازانى ـ دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٧٦ ـ ص ٢٩ ـ ٤٤) .

١ ـ وليم جيمس (١٨٤٢ ـ ١٩١٠) فيلسوف أمريكى ، يعد الممثل الرئيسى للنزعة البراجماتيـة فى الفلسفة . ولـه عدا ذلـك نظريـات فى الدين وعلم النفس والفسيولوجيا . ومن كتبه المترجمة الى العربية كتاب (ارادة الاعتقاد) الذى قام بترجمته المرحوم الدكتور محمود حب الله .

والأمر الجدير بالاعتبار في هذا الكتاب الثانى لماكدونالد : هو إثبات أن التصوف يعد القوة الأكثر حيوية في الدين الشخصى للمسلم ، والشىء الممتاز أيضا هو ما يذكره « ماكدونالد » عن علاقة الشرقى بما فوق الطبيعة . فالفرق بين الشرق والغرب لا يتمثل في سرعة التصديق لدى الشرقي ، وإنما في عدم قدرته على بناء نسق ثابت منيع للظواهر ؛ فهو لا يعرف « قوانين طبيعية » .

والذى يعرفه هو « مافوق الطبيعة » ، وهو لايحاول أن يخضعه لقانون ؛ فكل شىء ممكن[1] .

أما الكتاب الثالث وهو جوانب مختلفة في الاسلام ،فيقوم على محاضرات ألقاها « ماكدونالد » فى المعهد اللاهوتى فى هارتفورد . وغاية هذه المحاضرات أن تكون بمثابة مدخل لدراسة الإسلام الحاضر ، بالنسبة لهؤلاء الذين سيكونون مبشرين فى المستقبل .

وقد رسم المؤلف فى عشر محاضرات صورة واضحة وضوحا رائعا للشرق الإسلامى ، وشخص مؤسس الدعوة ، وتعاليمه ، والقرآن وعلم الكلام المحمدى ، والميتافيزيقا المحمدية ، والتصوف ، والدراويش ، والموقف المحمدى تجاه المسيح والإنجيل المسيحى والتبشير المحمدى ، والتربية والحياة الباطنية .

---

١ - اذا كان المقصود بالشرقى هنا المسلم على وجه الخصوص فاننا نرى هنا تفسيرا خاطئا للعقيدة الاسلامية . فالزعم بأنه غير قادر على بناء نسق ثابت للظواهر لعدم معرفته بما يسمى بالقوانين الطبيعية زعم باطل . فالله فى الاسلام قد خلق هذا الكون ونظمه وسيره حسب خطة محكمة ونظام دقيق . والكون كله يسير وفق سنن الله ، وسنن الله لا تتبدل ﴿ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ وهذه السنن الالهية هى ما يعرف بالقوانين الطبيعية . فالمسلم اذن يعترف بالقوانين الطبيعية ويعترف بأنها ثابتة ، لأن الله أراد لها ذلك ولأنه هو خالقها . من هنا يستطيع المسلم أن يبنى نسقا ثابتا للظواهر الطبيعية لأنها لا تسير فى اعتقاده على غير هدى ، غير أنه لا يغيب عن ذهنه أن هذه القوانين الطبيعية من صنع الله . فأى ضير فى هذا ؟!!

والنتيجة الرئيسية لابحاثه : هى أنه من الناحية العملية يعد كل الناس الذين يفكرون تفكيرا دينيا متصوفة ، وأنه يجب البحث عن الدين الإسلامى الحقيقى بين الدراويش[1] . ولكن هناك نسبة ضئيلة من هؤلاء الدراويش يعيشون منقطعين لحياة الزوايا ، أما الغالبية منهم فإنهم يعيشون فى عالم الناس ، ولكنهم مرتبطون بالطرق الصوفية عن طريق عهد ، أونذر معين لاوقات معينة ، مثل أصحاب طريقة الترتسياريـر[2] Tertiarier فى العصور الوسطى .

وهذا الكتاب من الكتب التى ينصح بقراءتها على وجه الخصوص ، بوصفه دليلا عمليا لدراسة الاسلام الحديث ، وبوصفه عونا ذكيا للمبشرين فى تنصير الجماعات المحمدية .

---

١ - لا يجوز البحث عن الدين الاسلامى الحقيقى بين الدراويش أو غيرهم من فرق اسلامية مختلفة ، وانما يجب أن يبحث عنه فى كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة فكل ما وافقهما فهو اسلام وكل ما خالفهما فليس من الاسلام فى شىء . فالاسلام ممثلا فى القرآن والسنة الصحيحة هو الحكم الفصل وهو المقياس الأوحد الذى يحكم به على كل ماعداه ، ولا يجوز اسلاميا ولا علميا قلب الحقائق واعتبار الفرق الاسلامية الشائعة أيا كان عدد اتباعها هى الحاكمة على الاسلام . وقد درج كثير من المستشرقين على الخلط بين الاسلام وواقع المسلمين ، ولايزال يتبنى هذا الاتجاه الخاطىء عدد من المستشرقين المعاصرين .

٢ - الترتسيارير هى احدى الطرق المسيحية الكاثوليكية التى تضم جماعات من الرجال أو جماعات من النساء بغرض السعى نحو حياة مسيحية مثالية تحت ارشاد الطريقة .

عرض مرجليوث[1] .Margoliouth فى محاضرات هيبرت Hibbert فى عام ١٩١٣ العناصر التى أسهمت فى صنع المذهب المحمدى الأصلى . ويعد القرآن أساس الإسلام ، وفى أثناء حياة النبى كان يوحى إليه من وقت إلى آخر بآيات من النموذج الأصلى السماوى للقرآن ، وقد جعله ذلك فى وضع يستطيع فيه أن يفصل فى المسائل اليومية التى تعرض عليه ، بوصفه زعيم الجماعة الجديدة .

وبعد وفاة محمد قام الخليفة الأول بجمع كل آيات القرآن ، وبعد ذلك بحوالى اثنتى عشرة سنة تم إخراج نسخة رسمية للقرآن .

---

١ ـ د . س . مرجليوث (١٨٥٨ ـ ١٩٤٠) مستشرق انجليزى ، يعد من أشهر أساتذة العربية ومن بين أئمة المستشرقين ، كان أستاذا لكرسى اللغة العربية فى جامعة أكسفورد منذ عام ١٨٨٩ ، كما كان يتمتع بعضوية عدة مجامع علمية كالمجمع اللغوى البريطانى والمجمع العلمى العربى بدمشق والجمعية الشرقية الألمانية . وله دراسات عديدة عن الاسلام وتاريخه والأدب العربى وأصوله . وقد قام بترجمة الكثير من النصوص العربية وتحقيق عدد من المخطوطات العربية .

ومن بين مؤلفاته : محمد ونهضة الاسلام (١٩٠٥) ، والاسلام (١٩١١) ، وانتشار الاسلام (١٩١٤) ، وجنوب الجزيرة العربية والاسلام ، والزندقة فى الاسلام والمسيحية ، وأصول الشعر العربى .

والبحث الأخير هو الذى اعتمد عليه الدكتور طه حسين فى كتابه عن الشعر الجاهلى الذى صدر عام ١٩٢٦ . ولم يشر بفانمولل هنا الى كتاب أصول الشعر العربى وما اثاره من ردود فعل مختلفة نظرا لأن مرجليوث قد نشر بحثه عام ١٩٢٥ أى بعد صدور كتاب بفانمولل بعامين . وقد قام الدكتور يحيى الجبورى بترجمة بحث مرجليوث الى العربية وقدم له بمقدمة قيمة عرض فيها « فكرة الانتحال : كيف نشأت ، وكيف عالجها الكاتبون قديما وحديثا ، إلام انتهت » . وقد صدرت هذه الترجمة تحت عنوان : أصول الشعر العربى ـ مؤسسه الرسالة : بيروت الطبعة الثانية ١٩٨١ .

ولكن على الرغم من الاعتقاد القائل بأن القـرآن يعد وحيـا كافيـا لكل العصور ، بالنسبة للعقيدة ، والأخلاقيات ؛ فإنه قد برزت آلاف المسائل التى لم ترد لها إجابة فى القرآن ، ومن أجل ذلك كان لابد من إكماله بطرق شتى : عن طريق التشريع ، والطقوس ، والاخلاق ، وعلم الكلام ، والفلسفة ، والتاريخ[1] .

وقد كانت المهمة التى أخذها « مرجليوث » على عـاتقه هى ارجـاع هذه الأمور المكملة إلى مصادرها الأصلية .

---

١ - لقد انبثقت النهضة العلمية التى شهدتها الأمة الاسلامية أساسا من منطلق أن القرآن هو مركز الدائرة لكل الجهود العلمية ، فكانت كلها جهودا من أجل خدمته والحفاظ عليه ومحاولة فهمه وادراك مقاصده . وقد راعى الاسلام ما سوف يجد من تطورات فى حياة الانسان وما سيطرأ على حياة المجتمعات من ظروف لم يكن لها نظير من قبل ، فلم يشأ أن يسد أمامه المنافذ ويكبل عقله ويجمد تفكيره ، وانما أعان الاسلام المسلم وشجعه على تكييف حياته طبقا لظروف العصر الذى يعيش فيه مع الحفاظ فى الوقت نفسه على الأسس الاسلامية الثابتة .

ومن المعروف ان هناك فى الاسلام ما يسمى بالأصول والفروع أو الثوابت والمتغيرات . فالثوابت أو الاصول لا مجال فيها للتعديل أو التغيير ، أما الفروع فهى مجال التغيير أو التعديل طبقا لظروف العصر ، على أساس من القواعد الاسلامية الثابتة . فالحياة الاسلامية الصحيحة إذن لا تبتعد على الاطلاق فى ظل المتغيرّات المختلفة عن أصولها وقواعدها الأساسية . ومرجليوث لم يفهم هذه المرونة التى يقصدها الاسلام فى الأمور الفرعية وفهم أن هناك قصورا فى القرآن كان فى حاجة الى اكمال ، وهذا أمر غير وارد اطلاقا . فانطلاق المسلم فى بناء نهضة علمية شملت الفقه الاسلامى بمدارسه المختلفة وعلم الكلام والفلسفة والتاريخ والأخلاق وغير ذلك من علوم دينية أو دنيوية كان استجابة أصيلة لنداء القرآن الذى حض على العلم ورفع من شأن العلماء واحترم العقل الانسانى وشجعه على السير فى طريق البحث والتأمل والابداع . وكان الاسلام فى كل ذلك حانيا عليه الى أقصى الحدود حين قرر أن المسلم اذا اجتهد فأخطأ فله اجر واذا اجتهد فأصاب فله أجران .

وقد قدم « مرجليوث » بالإضافة الى ذلك فى دليل كمبردج للعلوم والآداب :

Cambridge Manuals of Science and Literature عرضا شعبيا جيدا للإسلام وتاريخه بوصفه صورة من صور الدين والحضارة .

١١ - مارتين هارتمان

أما مارتين هارتمان[١] Martin Hartmann - الأستاذ بمعهد اللغات الشرقية فى برلين ، والذى توفى منذ وقت قصير - فإننا مدينون له بالفضل ، لبحوثه القيمة عن الدين الإسلامى ، والقائمة على ملاحظات وخبرات خاصة ، وإن اصطبغت أيضا فى بعض الأحيان بصبغة ذاتية بدرجة كبيرة .

ويقدم لنا « هارتمان » فى الباب الأول من كتابه « الاسلام »[٢] وهو القسم التاريخى - بعد نبذة قصيرة عن تاريخ العرب القديم - يقدم صورة لحياة « محمد » وتعاليمه ، على أساس من القرآن والأحاديث النبوية ويتتبع بعد ذلك

١ - مارتين هارتمان (١٨٥١ - ١٩١٨) مستشرق ألمانى . عمل مترجما ومستشارا للقنصلية الألمانية فى بيروت أكثر من عشر سنوات ، فأتقن العربية كاحد أبنائها ، ثم عين أستاذا للسريانية والدراسات الاسلامية فى برلين . وقام بعد ذلك برحلات الى سوريا ولبنان ومصر وتركستان . وقد شارك فى تحرير دائرة المعارف الاسلامية وأسس الجمعية الشرقية الألمانية للدراسات الاسلامية ، وكان يعد عميد هذه الدراسات فى المانيا . وله دراسات عديدة فى اللغة العربية والأدب العربى والعروض والقوافى ودراسات عن الاسلام وتاريخه وثقافته ، وقام بتحقيق ونشر بعض المخطوطات العربية ، وترجم بعضها الى الألمانية . وله مئات المقالات فى مجلات مختلفة .

ومن مؤلفاته : الاسلام تاريخا وعقيدة وشريعة ، والشرق الاسلامى - فى جزءين ، والاسلام فى افريقيا ، وتاريخ الاسلام فى الصين .

٢ - هو الكتاب الذى أشرنا اليه فى الهامش السابق تحت عنوان : الاسلام تاريخا وعقيدة وشريعة . وقد صدر عام ١٩٠٩ فى ليبتزج .

تطور الجماعة الإسلامية ، من عصر الخليفة الأول « أبى بكر » الى مؤتمر الجيسيراز[1] Algeciras .

أما الباب الثانى فقد خصصه للعقيدة والشريعة ، ويتضمن حصرا للمبادىء الأساسية للعقيدة وتكاليف العبادات .

وبعد ذلك يتحدث « هارتمان » على وجه الخصوص بإسهاب عن الحق الخاص ، والحق العام ، وفقا للمذهب الشافعى ، وتشكل خاتمة الكتاب نبذة عن المجتمع الإسلامى ، وفصلا عن انتشار الإسلام ، مع ملاحظات تاريخية وإحصائية قيمة .

والمعلومات الخاصة بمادة الكتاب عن حياة « محمد » وعن القرآن ، والعقيدة ، والتكاليف الدينية ، تستند على دراسة خاصة للمصادر ، وهى معلومات موثوق بها وإن كانت أيضا غير كافية ؛ فهارتمان لم يخصص للحديث عن التصوف إلا بضع سطور فقط ، مع أن التصوف يعد ذا أهمية قصوى ، وبدونه لا يمكن فهم الإسلام ، كما أن « هارتمان » لم يشر إلى أمور السحر[2] ، وبصفة خاصة نجد أن النسق الاجتماعى لمفهوم « الحاجة إلى التجمع » Gesellungen لدى « هارتمان » يسود تناوله للموضوع كله ، وقد كان يجب عليه أن يبرهن أولا على صحة هذا النسق .

---

١ - الجيسيراز تعد أول مدينة أوربية احتلها العرب فى الأندلس عام ٧١١م . تقع فى جنوب أسبانيا بالقرب من جبل طارق ، ويبلغ تعداد سكانها حاليا حوالى ٨٢٠٠٠ نسمة : وأما مؤتمر الجيسيراز (أو مؤتمر الجزيرة) فقد عقد فى عام ١٩٠٦ لتنظيم وضع فرنسا وأسبانيا فى المغرب .

٢ - من الخطأ الاعتقاد بأن الفهم الصحيح للاسلام يتوقف على فهم التصوف . فاذا كان المقصود بالتصوف هو الاتجاه الزهدى فى الاسلام أو التصوف السنى فان هذا قد انبثق من الاسلام نفسه ، وبالتالى فان فهم هذا التيار يتوقف على فهم الاسلام نفسه وليس العكس . وأما اذا كان المقصود بالتصوف هو تلك العناصر الأجنبية التى أقحمت على الحركة الصوفية فان فهم الاسلام لا يتوقف عليها بأى حال من الأحوال لأنها ليست من الاسلام فى شىء . وأما ادخال أمور السحر فى عرض الاسلام أو فى

ويتجه هارتمان بكتابه « خمس محاضـرات عن الاسلام[1] » الى الجمهـور العريض .

يتحدث فى المحاضرة الأولى عن تاريخ ما قبل « محمد » ، وعن « محمد » والخلفـاء الأول ؛ وفى المحاضـرة الثـانيـة : يتحـدث عن القـرآن وتعـاليم « محمد » ؛ وفى المحاضرة الثالثة : يتحدث عن عصر ازدهار الخـلافة وعن عصر الانهيار .

وهذه المحاضرات الثلاثة ذات طبيعة تاريخية ، ولا تتجاوز المعلومات التى نجدها فى المراجع المتعلقة بذلك بما فيها كتابه هو عن « الإسلام » .

أما المحاضرتان الأخيرتان : الرابعة : عن نظم الدولـة الاسلاميـة حتى العصر الحديث ، والخامسة : عن الوضع الراهن للعالم الإسلامى ؛ فانهما على العكس من ذلـك . يمكن أن يقدمـا أيضا شيئـا لكـل من المؤرخ ، وعـالم الاجتماع ، والمستشرق - كما يرى هارتمان نفسه -

١٢ - برونو فيوليت

يتحدث فيوليت[2] Bruno Violet فى محاضرة قصيرة عن مسألتين : المسألة الأولى هى : هل الاسلام دين مستقل ؟ والمسألة الثانيـة هى : هل هنـاك حضارة للاسلام تجمعها وحدة واحدة ؟

= فهمه فانه لأمر يدعو الى الغرابة حقا . فقد قضى الاسلام على الخرافات والأوهام والشعوذة والكهانة وأفسح الطريق للعقل الانسانى ليفهم ويدرك ويميز بناء على أسس واضحة لا التواء فيها ولا اعوجاج .

فما شأن الاسلام بالسحر إذن ؟

وهكذا نجد أنه ليس هناك مبرر على الاطلاق لهذا النقد الذى وجهه بفاتمولر الى هارتمان لأنه لم يذكر التصوف الا فى بضعة أسطر ولم يشر الى أمور السحر . . الخ

١ - نشرت هذه المحاضرات فى ليبتزج عام ١٩٠٢ .

٢ - برونو فيوليت مستشرق ألمانى ، وقد صدر له عام ١٩١٦ فى برلين كتاب عن الاسلام بعنوان : الدين الاسلامى وحضارته .

وتقول الإجابة : إن الاسلام دين يعبر بطريقـة استقلاليـة ، عن شعور الاعتماد على الله ، وهو حضارة تنبىء عن وحدة معينة ، عن طريق الدين ، على الرغم من الاختلافات العميقة لحضارة العديد من شعوبه ، وبـلاده ، وعصوره .

ولم يستخدم المؤلف للأسف الامصدرا واحدا فقط وهو القرآن ، ولاشك أننا نحصل منه على الصورة الأقدم للاسلام ، ولكننا لا نحصل منه على صورة الإسلام الراهن[1] ، وقد كان يتحتم عـلى المؤلف عندمـا يعرض الإسـلام الراهن أن يضم إلى القرآن بحوثا دينية حديثة ، ومن خلال ذلك تنشأ صورة أخرى تماما .

١٢ - شوبرت

يبحث شوبرت[2] Schubert الوضع الدينى الكنسى فى صلاته التاريخية ويتحدث فى بادىء الأمر عن « المسيحية فى أوساط الأديان » . وهنا يفرد فصلا خاصا عن « أديان التوحيد غير المسيحية ، وبصفة خاصة الدين الاسلامى » . وفى هذا الفصل يوحد أحدث البحوث فى صورة رائعة .

---

١ - تعبير (الاسلام الأقدم) و (الاسلام الراهن) يوحى بأن هناك أنواعا مختلفة من الاسلام عبر التاريخ ، كما نسمع اليوم أيضا نغمة شعوبية تحاول أن تضفى شعوبيتها على الاسلام ، وعلى ذلك يمكن ان تكون هناك عدة انواع مختلفة من الاسلام تعيش فى العصر الواحد فى شعوب مختلفة ، والأسلوب العلمى الصحيح يفرض على الباحث أن يدرس الاسلام - الذى هودين الله - فى مصادره الأصلية ، لا فى ممارسات الشعوب التى قد تقترب أو تبتعد عن الاسلام .

٢ - هانز فون شوبرت باحث ألمانى . وقد صدر كتابه الذى تحدث فيه عن الاسلام عام ١٩٢٠ فى توبنجن بعنوان (وضعنا الدينى الكنسى فى صلاته التاريخية) .

٤٤ - زايتس

يتناول زايتس[١] Seitz شخصية محمد وصفاته ، وكذلك تأسيسه لدينه ، وذلك فى أغلب الأحيان فى صورة اقتباسات حرفية ، من المراجع الإسلامية الحديثة ، ويبرز فضائل محمد ، ولكنه يذهب الى أبعد من ذلك كثيرا فى إبراز جوانب ضعفه ، أى إبراز الحاسة الدنيوية « لـرسول الله » وقصـور التبريـر الإلهى « للنبى » . ويتعرض أيضا عمل « محمد » لمثل هذا النقد السلبى[٢] .

٤٥ - ليبل

يقدم ليبل[٣] Lippl نبذة عن نشأة الاسـلام وتطوره وتعـاليمه : كثمـرة لسلسلة من المحـاضرات العـامة . وهى محـاضرات « لعلهـا تكـون وسيلة مساعدة مناسبة لتمهيد أولى لتاريخ الدين المحمدى وجوهره » . وفى الخاتمة نجد قائمة بالمراجع المختارة بعناية .

---

١ - أنطون زايتس مستشرق ألمانى ، وقد صدر كتابه عام ١٩٢١ فى بادربورن Paderborn بعنوان : تأسيس محمد للدين .

٢ - الاسلام دين ودنيا ، ولهذا اهتم الاسلام بأمور الدنيا كما اهتم بأمور الآخرة . واعتبار اهتمام النبى بالأمور الدنيوية نقطة ضعف أمر يدل على عدم فهم الاسلام . ويعنى ان الباحث يأخذ الفهم المسيحى للمسيح ويجعله مقياسا يطبقه على محمد ﷺ . وهذا أسلوب غير علمى وغير مقبول . أما التبرير الالهى للنبى فيجب أن يبحث عنه فى القرآن الكريم نفسه ، فهو أفضل سبيل لبيان أن رسالة محمد من عند الله . ولكن يبدو أن الباحث يريدهنا أيضا أن يجعل من الفهم المسيحى للمسيح من حيث الصلب والفداء . . الخ مقياسا للتبرير الالهى يطبقه على النبى . وهذا أيضا أمر مردود لا يمكن قبوله .

٣ - جوزيف ليبل : مستشرق ألمانى . وقد صدر كتابه عن الاسلام عام ١٩٢٢ بعنوان : الاسلام فى نشأته وتطوره وتعاليمه .

يوجه شبنجلر[1] Spengler اهتمامه الخاص لمشكلات الحضارة العربية ، ويصور الاسلام على أنه « النزعة التطهريةpuritanismus لمجموعة الأديان السحرية المبكرة كلها ، والذى ظهر فقط فى صورة دين جديد ، وقد حدث هذا فى محيط الكنيسة الجنوبية واليهودية التلمودية ، وسر النجاح الأسطورى الذى حققه الاسلام يكمن فى هذا المعنى العميق جداً[2] ، وليس فى عنف الاكتساح الحربى .

وعلى الرغم من أن الاسلام قد مارس تسامحا عجيبا لاسباب سياسية ، فإن اليهودية ، والديانة الفارسية Mazdaismus والكنيسة المسيحية الجنوبية والشرقية قد اختفت فيه بسرعة فائقةوبشكل تام . . .

إن الاسلام ليس دينا صحراويا ، كما ان عقيدة تسفنجلى[3] Zwingli ليست دينا لسكان الجبال العالية ، وإنه لمن قبيل المصادفة (!) أن تكون الحركة التطهرية ـ التى كانت الظروف فى العالم السحرى قد تكاملت لظهورها ـ قد انطلقت من عند رجل من مكة ، وليس من عند رجل من القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح Monophysit أو من عند رجل من اليهود »[4] .

---

١ ـ هو أسفالد شبنجلر (١٨٨٠ ـ ١٩٣٦) أحد فلاسفة الحضارة الألمان . وقد نال كتابه (غروب الحضارة الغربية) شهرة واسعة . وقد تناول فيه مشاكل الحضارة العربية فى الفصل الثالث من الجزء الثانى . وقد صدر الكتاب لأول مرة عام ١٩٢٢ .

٢ ـ يقصد بذلك النزعة التطهرية المشار اليها .

٣ ـ تسفنجلى (١٤٨٤ ـ ١٥٣١) زعيم الاصلاح الدينى فى سويسرا ضد الكنيسة الكاثوليكية . كان معاصرا لمارتين لوثر ولكنه اختلف معه فى بعض الأمور .

٤ ـ ينطلق شبنجلر من افتراض مسبق وهو أن الاسلام دين بشرى جاء حصيلة بشرية لتطور ديانات السحر . ولهذا لا نعجب من استنتاجاته المبنية على هذا الافتراض الباطل . فالمصادفة في رأيه هى التى لعبت دورها فى ظهور محمد بهذا الدين الجديد ، وقد كان الأولى أن يظهر به أحد أتباع المسيحية أو اليهودية . ومثل هذه المزاعم

١٧ ـ فرانتس بول

لقد قدم لنا علم الاسلاميات فى بلاد الشمال بحثين قيمين . ففى سلسلة كتيبات دينية تاريخية « يلقى كتاب فرانتس بول[١] Frants Buhl « المذهب المحمدى بوصفه ديناعـالميا » ـ فى عـرض مركـز ـ نظرة عـلى تاريـخ الدين الاسلامى وكيف ينعكس هذا الدين فى البحوث الحديثة .

معروفة من قديم . وقد قص علينا القرآن أن مشركى مكة اعترضوا عندما جاءهم الحق من عند الله على يد محمد وقالوا : ﴿ **لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم**﴾ ـ الزخرف ٣١ ـ أى هلا أنزل القرآن على رجل عظيم كبير فى أعينهم من أهل مكة أو الطائف . وقد كان اليهود أيضا ينتظرون ظهور النبى ويستنصرون به على مشركى العرب داعين الله أن يبعث هذا النبى الذى يجدونه مكتوبا عندهم لينصرهم على المشركين . فلما بعث الله محمدا ورأوا أنه ليس من بين صفوفهم كفروا به . يقول القرآن فى ذلك : ﴿ **ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ، فلعنةَ الله على الكافرين**﴾ .

ان القضية ليست قضية مصادفة كما يتخيل شبنجلر ، وليست قضية تمن كما تمنى المشركون واليهود ، وانما هى قضية اصطفاء الهى ﴿ **الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس**﴾ . وهو اصطفاء لا يخضع لمقاييس البشر ، ولكن مقدماته كانت ظاهرة كالشمس لكل من عرف محمدا قبل البعثة أو اتصل به من قريب أو بعيد .

اما ارجاع تسامح الاسلام الذى شهد به الاعداء الى مجرد أسباب سياسية . فهذا من قبيل تجريد الاسلام من كل القيم والمبادىء الأصيلة مع أنه الدين الذى جاء لترسيخ كل القيم والمبادىء السامية ـ وقد أعلن ذلك محمد ﷺ فى قوله « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » .

١ ـ فرانتس بول مستشرق دانماركى . وقد صدر كتابه عن الدين الاسلامى فى كوبنهاجن عام ١٩١٤ .

وبعد أن يقدم وصفا للدين القرآنى ؛ يبين كيف تطور هذا الدين إلى نسق عظيم للاجماع فى العالم الهلينستى ، على صعيد العقيدة والعبادة والقانون ، ويصف من جوانب مختلفة أهمية التصوف ، وأثر تقديس الأولياء على الحياة الدينية اليومية ، مع مراعاة خاصة لأهمية التصوف بالنسبة لتقدير النبى ، الأمر الذى يمكن تصويره بأبيات من قصيدة البردة المشهورة فى مدح « محمد » .

٨ ـ أو يستروب

أما البحث الثانى

فهو كتاب أو يستروب[1] Oestrup الذى ألفه لجمهور عريض بعنوان « الاسلام . . الدين المحمدى وتطوره فى عرض إجمالى » ، ويتضمن هذا الكتاب بعض الأمور التى لم يكن لها مكان فى كتاب « بول » ، وذلك مثل الحديث عن الفرق التى يندرج تحتها الحديث عن الشيعة ، ووصف أكثر عمومية للظروف المتعلقة بأمور العبادة في الشرق مع مراعاة للظروف السياسية في البلاد المختلفة للشرق المعاصر . ويشير أو يستروب أيضا الى حركة الوحدة الاسلامية Panislamismus ويهتم بصفة خاصة بالفرق بين الاسلام الأسيوى والاسلام العربى الافريقى . ويلتزم فى عرضه للدين القديم بالصورة المتوارثة بشكل أكثر مما يصنعه البحث الحديث في هذا الصدد .

---

١ ـ أو يستروب (١٨٦٧ ـ ١٩٣٨) مستشرق دانماركى . حصل على الدكتوراه برسالته عن ألف ليلة وليلة ، وقد أرجعها فى هذه الرسالة الى جذورها الأصلية ، ولم ينازعه فى ذلك أحد حتى اليوم ، قام برحلات كثيرة الى الشرق الأوسط

ومن مؤلفاته : موجز تاريخ الدين الاسلامى ، واللغة العربية ، وكان ماكان ، وقانون وانواع المجاملات الشرقية ، وبيان العملة العربية والتركية .

وله بحوث أخرى منها : الاسلام فى القرن التاسع عشر ، والمغاربة والمغرب ، ومصر الحديثة ، وتركيا الفتاة .

وهناك مؤلفات تعد أقل أصالة من البحوث المشار إليها حتى الآن ، لاثنين من الفرنسيين المشتغلين بالدراسات الإسلامية وهما : دى كاستريز H. de Castries وكارا دى فو .

أما كتاب أولهما : وهو « الاسلام »[1] فانه لا يشتمل إلا على انطباعات عن الإسلام ، ولكنه لا يتضمن صورة محايدة عن الإسلام ؛ فهو يرى فى الإسلام حلقة وسطى وضرورية بين عبادة الأوثان والمسيحية ، وهو يأسف ؛ لأن الغالبية من المستشرقين ـ باستثناء عدد قليل من بينهم ، ممن ليس له تأثير في السياسة ـ يميلون إلى القول بأن الدين المحمدى يعد صورة من صور الوثنية .

ويبدو له أن الاسلام يختلف عن المسيحية فى ثلاث نقاط وهى : تعدد الزوجات ، وتصور الجنة ، والتواكليه[2] .

وفى نهاية الكتاب نجد بعض الملاحق الهامة ، وعلى وجه الخصوص نجد فصلا شاملا عن « أفكار العصر الوسيط عن « محمد » وعن الدين الاسلامى » :

Les idées au moyen âge sur Mahomet et la religion musulmane

---

١ ـ صدر الكتاب فى باريس عام ١٨٩٦ تحت عنوان :
L'Islam: Impressions et études

٢ ـ التواكلية Fatalism ليست من الاسلام فى شيء . فالاسلام يعرف التوكل ولكنه يرفض التواكل . فالتوكل مقرون بالأخذ بالاسباب . أما التواكل فهو توكل كاذب لانه لا يأخذ بالأسباب . وقد خلط كثير من المستشرقين بين المفهوم الحقيقى للتوكل فى الاسلام وما رأوه شائعا فى أوساط المسلمين فى عصور التأخر والانحطاط من تواكلية بغيضة وسلبية مقيتة جعلت المسلمين فى مؤخرة ركب التقدم والحضارة . وقد نسب المستشرقون هذه التواكلية للاسلام والاسلام منها براء . .

ولكن المؤلف كان يمكنه هنا أيضا أن يستفيد من السابقين له في هذا المجال ، ونخص بالذكر دانكونا d'ancona (ص ١٥١ وص ١٥٤ وما بعدها) .

ان رأى كاستريز فى « محمد » ايجابى أكثر مما ينبغى ، كما أنه يرى فى القرآن أيضا من البداية حتى النهاية عملا فريدا ورائعا ، وباختصار : إنها انطباعات وليست دراسة علمية ![1]

وقد وجهت إلى المؤلف انتقادات مفصلة ، من جانب كل من « رينيه باسيه »Basset وكارادى فو Carra de Vaux وهما يعترفان للمؤلف بالصدق الذاتى ، والحماس للإسلام ، وإن كانت لهما أيضا مآخذ كثيرة على الكتاب من ناحية التعمق العلمى .

٢ - كارادى فو

يقول « رينيه باسيه » : إنه لا يوجد فى الفرنسية كتاب ألفه مستشرق ، وخصصه للجمهور العريض مثل كتاب كارادى فو[2] « المذهب المحمدى » Le Mahométisme الذى يقدم - فى موضوعه - معرفة واضحة وعرضا سلسا .

١ - اذا كان كاستريز - وهو غير مسلم - لم يجد فى سيرة محمد الا كل ما هو ايجابى ومشرق ، ولم يجد فى القرآن الا الروعة والتفرد ، فلماذا ينكر عليه بفانمو للر ذلك باسم البحث العلمى ؟ الا تكون دراسة الاسلام دراسة علمية الا اذا أتت بمثالب ؟ ان هذا حقا موقف غريب لا مبرر له فى سوق العلم .

٢ - هو البارون كارادى فو المولود عام ١٨٦٧ . درس العربية وقام بتدريسها فى المعهد الكاثوليكى فى باريس . وقد كان أكثر اهتمامه موجها الى مجالات الرياضيات والفلسفة والتاريخ ، وله فيها دراسات عديدة . وقام ايضا بنشر وترجمة نصوص عربية مختلفة .

ومن مؤلفاته : الاسلام والعبقرية السامية والعبقرية الآرية (١٨٩٨) ، والغزالى (ترجمه عادل زعيتر الى العربية) ، وابن سينا ، ومفكرو الاسلام (فى خمسة أجزاء) ، ونظرية الاسلام (١٩٠٩) .

ويبدأ « كارادى فو » كتابه بتقديم صورة حية لبلاد العرب قبل الإسلام ، حتى الوقت الذى بدأ فيه محمد دعوته ، ثم يتحدث عن الظهور الأول لمحمد واصطفائه .

ويتبع المؤلف ذلك بالحديث عن تاريخ « محمد » حتى وفاته ، وقد شرح المؤلف بطريقة واضحة الموضوعات التالية ـ حسب ترتيب ذكرها :

عرض أحداث العصور الأولى بعد موت محمد ـ الصراعات حول خلافته ـ التحرير النهائى للقرآن ـ التثبت من المأثورات النبوية ـ رد فعل الروح والعقل والحرية ضد استبداد التعاليم الاعتقادية ، وبوجه خاص ضد استبداد التواكلية ـ القضاء على نظرية حرية الإرادة ـ انتصار نظريات الغزالى ، ذلك الانتصار الذى كان وخيم العواقب بالنسبة لمستقبل الاسلام[1] . (والمؤلف يقارن بين الغزالى وبين توماس الاكوينى) مولد الصوفية الغريبة عن الروح الأصلية للاسلام ـ وتكوين الطرق الدينية كنتيجة لها .

ويتناول كارا دى فو فى القسم الثانى ـ كما فعل ليترى Littré من قبله ـ رد فعل العقل الارى ضد النزعة السامية للإسلام الأصلى ، وبصفة رئيسية فى الاتجاهات الشيعية والصوفية ، ولكنه هنا يبالغ فى تقدير القيمة الحضارية لصورة « الظاهرة الشيعية » للاسلام ، ويعرض هذه الصورة بطريقة متحيزة ، بوصفها صراع الفكر الحر الجرىء ضد المذهب العقدى الأصلى ، الموصوف بضيق الأفق وعدم الحركية la lutte D'une pensée libre et large contre une orthodoxie étroite et inflexible

والأخرى . . هو ما أثبته « جولد تسيهر » من أن ما أتى به الفرس لم يكن أبدا سعة أفق دينية ولا تسامحا ، ولا تزال هذه الآراء حول أهمية التناقضات

---

١ ـ لقد أسىء فهم الغزالى من جانب أكثر الباحثين ، وحملوه مسئولية انهيار الحضارة الاسلامية . وهذا تبسيط غير مقبول لمشكلة معقدة لها أسباب عديدة . ولنا فى الغزالى رؤ ية مختلفة عن هذا الفهم السائد بسطناها فى كتابنا : المنهج الفلسفى بين الغزالى وديكارت .

العرقية السامية الآرية بالنسبة لتطور الاسلام ـ لا تزال في حاجة إلى مراجعة وتدقيق .

أما الكتاب الثانى لكارادى فـو وهو نـظرية الاسـلام 'La Doctrine de l'Islam' فقد اهتم فيه بتقديم عرض شعبى للدين الإسلامى الأصلى ، بطريقة فلسفية مع مقارنته بأديان اخرى ، وهكذا يتناول فى عشر فصول الموضوعات التالية :

الصـلاة والحياة الآخـرة والتواكليـة والزكـاة ، والأساطـير حـول عيسى ومـريم ، والحج إلى مكـة ، والجهاد ، ومكـانة المـرأة ، وتربيـة الأطفال ، والتصوف ، ومستقبل الإسلام .

ثم يتبع ذلك بفصل ختامى يتناول فيه جزئيات شتى : قائمة مراجع قاصرة وملاحظات عن المآذن والأجراس ، والموسيقى ، والتصوير ، والضرائب ، والتقـويم الفلكى ، والأعياد والصـوم ورجال الـدين ، ومـا إلى ذلـك من موضوعات ، وقد تناول ذلك كله فى إسهاب كثير وسطحية !



دراسات تبشيرية عن الاسلام

يعتبر تصوير المبشرين للدين الاسلامى ذا نوعية خاصة ، وفيما يلى نورد بعض النماذج من دراسات المبشرين للاسلام :

١ ـ أرنولد

لقد عمل ج . م . أرنولد J. M. Arnold مبشرا فى أوساط المحمديين فى يافا ، وفى جنوب أفريقيا ، وله كتاب كان يحمل ابتداء العنوان التالى : « اسماعيل أو الكتاب المقدس والقرآن » ، وقد طبع هذا الكتاب فى انجلترا أربع طبعات ، وصادف أيضا نجاحا عمليا ، أدى إلى تكوين « جمعية تبشير المسلمين » لتحويل المحمديين إلى المسيحية . وقد ترجم الكتاب إلى اللغة الألمانية بناء[1] على رغبة هيئة تحرير « مجلة التبشير العام » (الألمانية) .

وينقسم الكتاب الى اثنى عشر فصلا وهى :

١ ـ مهبط الاسلام . ٢ ـ عصر محمد وصفاته .

٣ ـ تاريخ القرآن وعقائده . ٤ ـ ٥ ما أخذه محمد من اليهودية والمسيحية[2] .

٦ ـ انتشار الاسلام ونجاحه . ٧ ـ خصائص الاسلام وتأثيره .

٨/٩ وحدة العهدين القديم الجديد .

١٠ ـ الكتاب المقدس والقرآن

١١ ـ مقارنات عامة . ١٢ ـ المساعى المضادة من جانب الكنيسة .

---

١ ـ ظهرت الترجمة الألمانية عام ١٨٧٨ تحت عنوان : الاسلام : تاريخه وخصائصه وعلاقته بالمسيحية .

٢ ـ سبق أن نبهنا فى هوامش أخرى على أن مثل هذه المزاعم مبينة على افتراض باطل وهو أن الاسلام دين بشرى .

٢ ـ ادوارد سل

أما ادوارد سل Sell المبشر بجمعية التبشير الكنسى الانجليزية ، فإنه يقدم الصورة التى يعيشها الإسلام اليوم لدى أتباعه ، وذلك فى أشكاله العقدية وأشكاله العملية[1] . ويتناول فى ستة فصول رئيسية الموضوعات التالية :

١ ـ أسس الاسلام .   ٢ ـ تفسير القرآن والأحاديث .

٣ ـ الفرق فى الاسلام .   ٤ ـ عقيدة الاسلام .

٥ ـ التكاليف العملية فى الاسلام .   ٦ ـ أعياد الاسلام ، وصوم الاسلام .

ويسهب سل فى تناوله للحركات الروحية الجديدة فى الاسلام مثل الحركة « الوهابية »

٣ ـ زويمر

هناك دراسات ممتازة عن الدين المحمدى ، ومشكلات العالم المحمدى ، من وجهة نظر التبشير المسيحى . نجدها فى كتاب « الاسلام » للمبشر الشهير س . م . زويمر[2] Zwemer الذى كان يعمل مبشرا فى أوساط المحمديين ، ويتضمن الكتاب الموضوعات التالية :

---

١ ـ صدر كتابه بعنوان عقيدة الاسلام Faith of Islam فى لندن عام ١٨٨٠ وظهرت طبعته الثانية عام ١٨٩٦ والثالثة عام ١٩٠٧ .

٢ ـ صمويل زويمر (١٨٦٧ ـ ١٩٥٢) : كان رئيس المبشرين فى الشرق الأوسط ، وله مؤلفات فى صلة الاسلام بالمسيحية يتضح فيها اتجاهه المبنى على التعصب والتضليل . ومن هذه المؤلفات : الاسلام تحد لعقيدة ؟ (نيويورك ١٩٠٧ ـ ترجم الى الألمانية عام ١٩٠٩) ، ويسوع فى احياء الغزالى ، وداخل عالم الاسلام .

وله دراسات كثيرة فى مجلة الاسلام التى كان يرأس تحريرها منها : الاسلام فى العالم ، وترجمات القرآن ، وأمية النبى ، والحديث القدسى ، وتنوع الاسلام فى الهند .

١ ـ أصل الاسلام ومصادره .　　　٢ ـ محمد النبى .

٣ ـ انتشار الاسلام .

٤ ـ ٦ : العقيدة والعبادات والأخلاق في الاسلام .

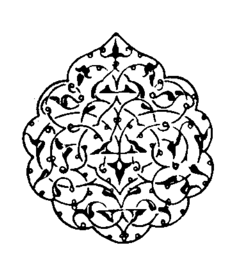
٧ ـ التفرق والتمزق والاصلاح .

٨ ـ الوضع الراهن للعالم المحمدى .

٩ ـ التبشير فى أوساط المحمديين .　　　١٠ ـ مناهج ونتائج .

١١ ـ المشكلة والخطر .　　　١٢ ـ استفزاز العقيدة .

وبجانب زويمر يعد كتاب جاردنر Gairdner « لوم الاسلام » The Re-proach of Islam أفضل مدخل إلى الإسلام ومشكلة التبشير .



اتجاهات إسلامية هندية حديثة

١ - سيد أمير علي

هناك اتجاه عقلى وعصرى فى أوساط المذهب المحمدى فى الهند يستحق اهتماما خاصا ، ويقود هذا الاتجاه سيد « أمير علي[1] » وهو من كبار الموظفين الهنود ، ومن قضاة المحكمة العليا فى البنغال ، وقد اغترف من علومنا الغربية ، ويعد من أبرز أتباع الإسلام وأكثرهم تنورا .

وقد اهتم بالدفاع عن الإسلام ضد الأحكام المسبقة للمسيحيين ، واهتم بعرض الروح الفلسفية والاخلاقية للإسلام ، على أمل أن يعمل المسلمون فى الهند على إقامة بعثهم الروحى والأخلاقي .

ويعقد المؤلف مقارنة بين الإسلام والمسيحية ، فيما يتعلق بالتقدم الأخلاقى ، والاجتماعى ، والسياسى ، ويضعهما بجوار بعضهما ، من حيث العقيدة بوصفهما مصدرا للأخلاق السامية ، وبوصفهما هاديين فى الحياة ويتناول تأثيرهما الإنسانى والتمدنى .

ويعارض على وجه الخصوص القول بأن الإسلام دين غير متسامح ، وأنه يساعد على العبودية ، وعلى تعدد الزوجات ، وأنه يضع المرأة فى وضع أدنى ، وأنه يقول بجنة حسية خالصة ، وأنه دين التواكلية ، وأنه يؤدى إلى التردد السياسى والأخلاقى .

ولكن المؤلف يعترف بأن من الصعب عليه أن يعثر على توافق تصالحى ، بين التعاليم السامية والأخلاقيات للإسلام الأصلي ، وبين الشكلية المتحجرة التى انتهى إليها اليوم .

---

١ - توفى عام ١٩٢٨ . ومن مؤلفاته بالانجليزية : حياة محمد وتعاليمه أو روح الاسلام (لندن ١٨٧٣ - وقد ترجم الى العربية تحت عنوان : روح الاسلام وقام بترجمة أمين محمود الشريف وراجعه محمد بدران ونشر ضمن سلسلة الألف كتاب بالقاهرة ١٩٦١ . وأخلاق الاسلام (كلكتا ١٨٩٤) ، والاسلام (لندن ١٩٠٦) ، والاسلام ونقاده .

٢ - خودا بخش

ويحـــذو خـودا بخـش[1] Khuda Baksh حذو سيد أمير على ، ولكن تصوراته تعنى تقدما من الدفاع العقلى إلى المعرفة الدينية التاريخية . والمؤلف مسلم ذو عقلية تقدمية متحررة ، وغد عاش فى انجلترا تسع سنوات ، وتعلم اللغة الألمانية أيضا لدرجة مكنته من دراسة كتاب جولد تسيهر « دراسات محمدية » ودراسة مؤلفات ألمانية أخرى .

وتتناول بحوثه على سبيل المثال الموضوعات التالية : « روح الاسلام » ، « رأى الاسلام في السيادة أو الحكم » ، « حركة الشعوبية فى الإسلام » . أما الفصول التى تتناول « الأدب الهندوستانى » و « أفكار عن الظروف الراهنة » فهى بصفة خاصة فصول قيمة .

والمؤلف - الذى تعمق فى عالم الفكر الغربى ومع ذلك يتمسك بتراثه الذى ولد عليه - يعد مراقبا شجاعا للوضع الراهن ، ولسيادة الإنجليز فى الهند :

« إن الشرق بالنسبة لى شرق والغرب غرب ، والهند لم يعد يمكن أن تكون انجلترا ، كما لا يمكن أن تصير انجلترا الهند ، وقد قدر لنا أن نتتلمـذ على أوربا ، ولكن ذلك لن يكون بالتضحية بذاتيتنا الشرقية »

٣ - ليونارد ز

وهناك دفاع أوربى عن الإسلام صدر عن المقدم الإنجليزى ليوناردز[2] Major Leonards ، غير أنه دفاع ذاتى ، وغير تاريخي بالمـرة ، وتتمثل قـدوته العقلية فى كل من « كارليل »[3] وسيد « أمير على » . وهكذا يمتزج لديه نموذج

---

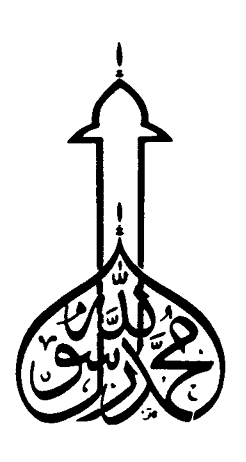
١ - انظر كتاب خودا بخش بالانجليزية : مقالات هندية واسلامية Essys Indian and Islamic لندن ١٩١٢ .

٢ - انظر فى ذلك كتابه بعنوان (الاسلام) :
Arthur Glyn Leonards : Islam‘ London 1909.

٣ - لعله يقصد توماس كارليل (١٧٩٥ - ١٨٨١) صاحب كتاب (الأبطال) الذى عقد فيه فصلا رائعا عن النبى صلى ﷺ . وقد نقله الى العربية الأستاذ على أدهم .

أوربى غير تاريخى اطلاقا لعبقرية دينية أصيلة ، بأفكار العلماء المحدثين الهنود أو المصريين ، الذين تثقفوا ثقافة أوربية ، والذين يحاولون ـ عن طريق استخدام نتائج البحث الغربى ـ تحديث الإسلام والدفاع عنه .

وهم يضعون الاسلام فى مقابل المسيحية بوصفه الدين الوحيد المتمشى مع الطبيعة والعقل .



الاسلام في كتب تاريخ الأديان

أما الفصول الخاصة بوصف الإسلام المتضمنة فى الكتب التعليمية لتاريخ الأديان العام ؛ فإنها تستحق تقديرا خاصا ، ويأتى هنا فى المقام الأول ذلك العرض الممتاز للإسلام ، القائم على معرفة تامة للمصادر من جانب م . ث هوتسما[1] M. Th. Houtsma فى الكتاب الذى اخرجه « شانتبى دى لاسوساى » Chantepie de La saussaye وهو « كتاب تعليمى فى تاريخ الأديان » .

ويعد ما كتبه « هوتسما » من أفضل ما كتب عن هذا الموضوع الى حين ظهور كتاب جولد تسيهر « محاضرات عن الاسلام » .

ويصور « هوتسما » فى البداية الأوضاع الدينية فى بلاد العرب عند ظهور « محمد » ، ثم يصور حياة « محمد » فى فصل مطول ، وفى الفصل الثالث : يتناول أسس تطور الإسلام ؛ القرآن والحديث ، والفقه .

أما الفصول التالية فتتناول : التشريع الدينى ، النزاع العقائدى ، نسق العقيدة السنى ، التصوف . وقد خصص « هوتسما » فصلا خاصا للشيعة ، فى حين يلقى فى الفصل الختامى نظرة على الأوضاع الراهنة .

ومما له قيمة على وجه الخصوص تلك القوائم بالمراجع الملحقة بكل فصل .

---

١ - هوتسما (١٨٥١ - ١٩٤٣) مستشرق هولندى . اضطلع بمهمة الاشراف على دائرة المعارف الاسلامية (١٩١٣ - ١٩٢٤) ، وكان يتمتع بعضوية عدد من المجامع والجمعيات العلمية منها المجمع العلمى العربى بدمشق . وقد نشر عددا من المخطوطات العربية وترجم بعض النصوص العربية . ومن الكتب التى نشرها تاريخ اليعقوبى (فى جزءين) ، كما ساعد فى نشر الطبرى (فى خمسة عشر جزءا) .

وله دراسات فى الادب العربى والتاريخ الاسلامى . ومن بين مؤلفاته : العقيدة الاسلامية والاشعرى .

٢ ـ كونراد فون أوريلي

أما كتاب كونرادفون أوريللى Conrad Von Orelli « تاريخ الأديان العام[١] » فيتوحد فيه علم شامل مع تركيز قوى على ما هو جوهرى مع حكم معتدل ، وهو لا يخشى فى أى موضع من كتابه من أن يقيس التصورات التاريخية بمقياسه اللاهوتى الوضعى ، ولكن المرء يرى فى كل موضع ظهور سعيه نحو تقدير عادل .

وهو يتناول الإسلام فى خمسة فصول :

١ ـ دين العرب قبل الاسلام . ٢ ـ محمد : حياته وصفاته الشخصية .

٣ ـ القرآن . ٤ ـ التعاليم والعبادة فى الاسلام .

٥ ـ الانتشار والانقسامات فى الاسلام .

٣ ـ تييلي

وكذلك يقدم تيلىTiele فى كتابه « موجز تاريخ الأديان[٢] . » عرضا ممتازا لدين العرب فى خمسة عشر فصلا :

١ ـ دين العرب القديم . ٢ ـ دين العرب عند ظهور محمد .

٣ ـ اليهودية والمسيحية والحنفاء . ٤ ـ اصطفاء محمد .

٥ ـ الأتباع الأول . ٦ ـ الدين العالمى العربى الجديد .

٧ ـ انتشار الاسلام . وفاة محمد . ٨ ـ محمد كمؤسس للدين .

٩ ـ قواعد الاسلام الخمسة . ١٠ ـ الله والنبى .

١١ ـ القرآن . ١٢ ـ الحديث . معيار القانون الدينى .

١٣ ـ الشيعة . ١٤ ـ التصوف .

١٥ ـ خصائص الاسلام .

---

١ ـ ظهرت الطبعة الأولى منه عام ١٩١١ فى بون بألمانيا والطبعة الثالثة عام ١٩٢٢ .

٢ ـ ظهرت الطبعة الرابعة منه بتعديلات شاملة عام ١٩١٢ فى برلين وقام باخراجها ناتان سودربلوم .

٤ ـ فورم

يقدم باول فورم Wurm فى كتابه « المرجع في تاريـخ الاديان[1] » . عرضا شعبيا للاسلام قصد به ان يكون لدائرة من القراء اكثر اتساعا ، وبصفة خاصة للمدرسين والمبشرين واصدقاء التبشير ، مستخدما فى عرضه مراجع التبشير فى حماس ، وينقسم الكتاب الى اربعة فصول :

١ ـ مكانة الاسلام فى تاريخ الاديان .

٢ ـ حياة محمد .

٣ ـ القرآن ، التعاليم والعبادة والحياة الدينية فى الاسلام .

٤ ـ التطور الدينى فى الاسلام بعد وفاة محمد .

٥ ـ جيرمياس

يخصص الفريد جيرمياس Jeremias لعصر ما قبل الاسلام ولدين العرب ما يقرب من نصف ما كتبه عن الاسلام فى كتابه « تاريخ الاديان العام »[2] ويتناول بعد ذلك فى فصل مطول حياة محمد وبدايات الاسلام . أما كل ماعدا ذلك فقد تناوله تناولا قاصـرا جدا (فكـرة المخلص فى الاسلام الاصـلى ؛ الشيعة : نظريتهم فى الامام ونظريتهم فى الخلاص والمصالحة ؛ التصوف ، الموت والحياة الآخرة فى الاسلام الاصلى اليوم ، انتشار الاسلام) . ويتناول المؤلف التصوف فى تسعة عشر سطرا .

---

١ ـ ظهرت الطبعة الاولى من الكتاب فى شتو تجارت بالمانيا عام ١٩٠٤ .

٢ ـ ظهر الكتاب فى ميونيخ بالمانيا عام ١٩١٨ .

٦ ـ فوللرز

وكذلك يقدم كارل فوللرز Vollers نبذة قصيرة جدا عن الاسلام فى كتابه « اديان العالم »[١] أما فضله الرئيسى فانه يتمثل فى انه كان اول من عقد فى دقة مقارنة بين الادب الانجيلى والحديث النبوى الاسلامى .

٧ ـ بفليدرر

وقد تحدث اوتو بفليديرر[٢] Pfleiderer أيضا باختصار عن الاسلام وصلته باليهودية والمسيحية ، ودين ما قبل محمد ، وحياة محمد وتعاليمه والسنة والشيعة ، والمعتزلة والاشعرية والتصوف ، وفى الخاتمة قدم بعض اقتباسات من الشعر الصوفى لجلال الدين الرومى .

٨ ـ سودربلوم

اما ناتان سود ربلوم Soederblom الذى كان له الفضل فى إعادة النظر فى كتاب تيلى « موجز تاريخ الاديان » وإكماله ؛ فإنه لم يخصص للاسلام فى كتابه « مدخل إلى تاريخ الاديان[٣] » إلا ثلاثة فصول فقط :

وفى الفصل الاول منها : يلقى نظرة سريعة على حياة « محمد » وتعاليمه ، ويقدم بعض الملاحظات عن القرآن ، أما الفصل الثانى : فإنه يصور فيه التقوى الاسلامية (قواعد الاسلام الخمس والتصوف) ؛ وفى الفصل الثالث : يتحدث عن انتشار الاسلام .

والكتاب لا يقدم للأسف أية قوائم ، أو بيانات عن المراجع .

---

١ ـ ظهر الكتاب فى يينا بالمانيا عام ١٩٠٧ .

٢ ـ فى كتابه (الدين والاديان) . برلين ١٩٠٦ .

٣ ـ ظهر الكتاب فى ليبزج عام ١٩٢٠ (فى سلسلة العلم والثقافة المجلد رقم ١٣١) .

وقد تحدث المؤلف أيضا عن الإسلام باقتضاب شديد ، فى أربع صفحات فى كتاب سابق له بعنوان « أديان الارض »[1] . (قارن ك . بث Beth : ناتان سود ربلوم كمؤرخ للاديان فى مجلد : العالم المسيحى ١٩٢٠ عمود ٢١٤ - ٢١٨) .

٩ - كليمن

وفى مقابل ذلك يقدم كارل كليمن[2] Clemen عرضا للإسلام فى وضعه الراهن أكثر تفصيلا ؛ فبعد مقدمة قصيرة عن « تاريخ الاسلام وانتشاره » يتناول الموضوع فى ستة فصول :

١ - الشريعة الاسلامية : (مدارس الفقه ، أحكام العبادات ، الأحكام القانونية والسياسية) .

٢ - علم العقيدة الإسلامى : (النظريات فى موضوعات : الله ، والملائكة والانبياء ، وأمور الآخرة والقضاء والقدر ، على أساس من الكتب التعليمية الدينية المعروفة) .

٣ - التصوف الإسلامى : (علم العقيدة والتصوف ، الغزالى ، الدراويش) .

٤ - الإسلام الشعبى (تقديس الاولياء ، الكهانة ، السحر) .

٥ - الفرق الاسلامية : (الخوارج ، والشيعة وانقساماتها ، البابية ، والبهائية ، الاحمدية ، الوهابية) .

---

١ - ظهر الكتاب فى توبنجن بالمانيا عام ١٩٠٥ .

٢ - فى كتابه : اديان الحضارة غير المسيحية فى وضعها الراهن . ليبتزج وبرلين ١٩٢١ .

٦ ـ تحديث الاسلام : (الجهود العقلانية فى الهند ، وسوريا ، وتركيا) .

وتقدم الخاتمة قائمة تفصيلية بالمراجع .

راجع للمؤلف أيضا فيما يتعلق بتصور المحمديين عن الحياة بعد الموت كتاب « الحياة بعد الموت في عقائد الانسانية[1] » .

١٠ ـ بوسيه

لقد جمع فهلم بوسيه[2] Bousset الاسلام واليهودية والزرادشتيه تحت عنوان « ديانات التشريع » وحاول ان يبين الصور المميزة والخصائص التى تجمع الديانات على هذه الدرجة (اى درجة ديانات التشريع) .

١١ ـ إبرهاردت

يتناول باول ابرهاردت[3] Eberhardt الإسلام تناولا مفعما بالحب بصفة خاصة ، فهو فى حديثه عن « محمد » يتحدث عن « العظمة والروعة اللتين لا يمكن إنكارهما » ويشير إلى أن محمدا لم يتنكر لإنسانيته قط ، حتى وهو فى قمة انتصاراته ، ولم يتعاظم ابدا ويعتبر نفسه نوعا خاصا أكثر سموا ، وتظهر للمؤلف أيضا أخلاق الاسلام « أعظم ما تكون فى طهرها وعمقها » .

---

١ ـ ظهر الكتاب فى ليبنزج وبرلين عام ١٩٢٠ .

٢ ـ راجع كتابه : ماهية الدين . توبنجن (المانيا)١٩٢٠ .

٣ ـ انظر كتابه : علم الاديان : Religionskunde . Gotha 1920

وفى النهاية يخصص المؤلف للتصوف الإسلامى ـ والتصوف الفارسى على وجه الخصوص ـ بعض التفصيلات الحماسية .

١٢ ـ كابشتاين

يقدم تيودور كابشتاين[1] Kappstein إلى حد ما عرضا سطحيا للإسلام وفى البداية يضع أمامنا صورتين : الدراويش البكـائين فى القـاهرة ، وقبـة الصخرة فى القدس مع الحجر المقدس ، وفى الخاتمة يصور مراسم دفن على الطريقة المحمدية ، ويعرض الأقوال عن حكمة صحراء العرب ، وفى أثناء ذلك يتحدث باختصار عن حياة « محمد » وتعاليمه ، وعن الفرق الإسلامية والتكاليف الدينية .

١٣ ـ فيبيج

يجمع باول فيبج[2] Fiebig فى صورة « كراسة املاء Diktatheft ما هو ضرورى لمعرفة الاسلام فى فصول ثلاثة :

١ ـ الدين العربى قبل محمد .

٢ ـ محمد

٣ ـ من محمد الى العصر الحاضر .

ويذكر فى الخاتمة أهم المراجع عن الاسلام .

---

١ ـ راجع كتابه : اديان البشرية ـ برلين ١٩٢٠ .

٢ ـ يرجع الى كتابه : تاريخ الدين وفلسفته لطلاب وطالبات المعاهد العليا . توبنجن (المانيا) ١٩٢١ .

١٤ ـ بيث

يقدم كارل بيثBeth اشارات قيمة لتفهم الاسلام ومقارنته بالديانات الاخرى فى كتابه « مدخل الى تاريخ الاديان المقارن »[١] .

١٥ ـ فته

أما فته J. Witte فإنه يأتى بمقدمة[٢] تتضمن « الدين والأديان » ، « الشىء القيم فى الأديـان غـير المسيحيـة » ، « صـراع الأديـان والقضيـة الـرئيسيـة للدين » ، وبعد ذلك يجيب عن السؤال التالى : ما موقف الأديان العالمية ـ غير المسيحية ـ من الأعداء الثـلاثة الكبـار للانسـانية وهى : الشـر ، والالم ، والموت ؟ .

ثم يصور المجالات الرئيسية الثلاثة التى تتضمن العنصر الإيجابى ، الذى تريد الديانات غير المسيحية أن تقدمه للإنسان ، وهذه المجالات هى : مسألة الألوهية ، والهدف والطريق إلى الهدف .

وفى القسم الثانى من كتابه يتحدث المؤلف عن العمل التبشيرى الذى تقوم به الأديان العالمية غير المسيحية والذى يقوم به الإسلام بصفة خاصة .

١٦ ـ شوميروس

يرسم شوميروس[٣] H.W. Schomerus فى خطوط عريضة مهمة المسيحية بالنسبة للشعـوب غير المسيحيـة ، وضرورة تهيئـة العمل التبشيـرى للحياة

---

١ ـ صدر الكتاب فى كل من ليبتزج وبرلين عام ١٩٢٠ .
٢ ـ انظر كتابه : صراع الاديان العالمية حول النفس البشرية . برلين ١٩٢١ .
٣ ـ فى كتابه : الحياة الروحية للشعوب غير المسيحية والدين المسيحى . ليبتزج ١٩١٤ .

الروحية للشعوب غير المسيحية ، وفى النصف الثانى من كتابه يستنتج من ذلك ضرورة حوار المسيحية مع الحياة الروحية للشعوب غـير المسيحية ، ويـذكر متطلبات هذا الحوار .

١٧ - مور

من بين الكتب الانجليزية فى التاريخ العام لـلأديان ـ والتى لم يتيسـر لى الاطلاع على البعض منها ـ نبرز هنا كتاب أديان العالم الكبرى ، Great Religions of the World وكتاب تاريخ الاديان[١] من تأليف س . ف . مور C.F.Moore

١٨ - رايناخ

أما تصوير سالمون رايناخ[٢] Reinach للإسلام فى اثنتى عشرة صفحة من القطع الصغير ، فإنه حقا تصوير غير كاف ، كما أن قوائم المراجـع الملحقة قاصرة إلى حد بعيد .

١٩ - هوداس

وكذلك نجد أن كتاب هوداس O.Houdas المذهب الإسلامى[٣] "L'Isla-misme" قاصر أيضا ؛ وبدون النقد الضرورى ، وبدون اطلاع على البحوث الألمانية فى العقود الأخيرة ، وقد أسىء تماما فهم دور النبى .

---

١ - صدر فى نيويورك عام ١٩١٤ وما بعدها .
٢ - فى كتابه بالفرنسية بعنوان : اورفيوس . التاريخ العام للدين باريس ١٩٠٩ .
٣ - صدر فى باريس عام ١٩٠٤ .

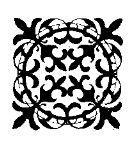
٢٠ ـ بريكو ، وأوبى

وقد تناول أيضا كل من بريكو J.Bricout وجوزيف اوبىHuby الاسلام تناولا سيئا فى كتاب كل منهما عن تاريخ الاديان العام[١] .

٢١ ـ بزى

وأول عرض للاسلام أكثر تفصيلا بعض الشىء فى اللغة الإيطالية ، قام به بزىJ.Pizzi فى كتابه « المذهب الإسلامى[٢] "L'Islamismo" .

ويقدم هذا الكتاب بصفة اساسية نظرة عامة عن الدين الاسلامى ، مستندا فى ذلك الى مراجع لشخصيات معروفة لها وزنها . ولكنه بجانب ذلك يأخذ في الاعتبار ايضا حضارة الاسلام وسياسته ويفتقد المرء في هذا الكتاب تاريخ تطور الاسلام .



---

١ - صدر كتاب بريكو فى باريس عام ١٩١١ بعنوان : حول تاريخ الاديان . وصدر كتاب اوبى ايضا في باريس عام ١٩١٢ بعنوان : المسيح ـ الموجز فى تاريخ الاديان .

٢ ـ صدر هذا الكتاب فى ميلانو ١٩٠٣ .

أ ـ وقد أتاحت لنا بعض الكتب النصية لتاريخ الأديان ، والتى ظهرت فى ترجمات جيدة ـ فرصة التعرف على مصادر الدين الإسلامى ؛ فقد ظهر فى عام١٩٠٨ ـ فى وقت واحد تقريبا ـ كتابان من الكتب النصية فى تاريخ الأديان ، لكل من ناتان سودربلوم Soederblom وألفريد برتوليت Bertholet غير أن كتاب أولهما لم يظهر ـ للأسف ـ إلا باللغة السويدية[1] . وقد تناول ك . ف . تستر ستين Zettersteen الإسلام فى كتاب سودربلوم ، وتناوله أ . ميز Mez فى كتاب برتوليت[2] ولكن الأخير لم يقدم إلا مقتطفات من القرآن .

ب ـ أما « الكتاب النصى لتاريخ الأديان[3] » لمؤلفه ادوارد ليمان Lehmann فإنه يقدم عدا ذلك أحكاما مختلفة ، تتعلق بالصلاة ، وشعائر صلاة الجمعة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والحج ، والجهاد ، والاكل ، والشرب ، والزواج ، والعقائد للسنوسى (المتوفى عام ١٤٩٠م) التى تستخدم كثيرا جدا فى العالم المحمدى ، بوصفها كتابا تعليميا فى قواعد الدين .

وقد أضيفت فى الطبعة الثانية لكتاب « ليمان » مقتطفات من صحيح البخارى ، ومن قصيدة البردة فى مدح « محمد » كما أضيفت

---

١ ـ ظهر الكتاب فى ستوكهولم عام ١٩٠٨ .

٢ ـ ظهر كتاب برتوليت فى توبنجن بالمانيا عام ١٩٠٨ بعنوان : كتاب للمطالعة فى تاريخ الاديان .

٣ ـ ظهر الكتاب فى طبعته الاولى فى ليبتزج عام ١٩١٢ ، وظهرت الطبعة الثانية عام ١٩٢٢ .

أيضـا على وجـه الخصوص نصـوص كثيرة فى التصـوف للحلاج ، والغزالى ، ومن التصوف الفارسى ، وأضيفت أيضا خمس قصائد لزيا جوك ـ ألب Zia Goek -Alp فى تصوير الإسلام الحديث فى الوقت الراهن .

جـ ـ وهناك كتاب مفصل يقدم مصادر لتاريخ الدين الإسلامى وهو كتاب « الـدين الإسلامى » من تـأليف جـوزيف هـل[1] Hell فى سلسلة « الأصوات الدينية للشعوب » . فبعد مقدمة قصيرة عن تطور علم العقيـدة الإسلامى ، حتى عصـر الغزالى ، يقـدم ترجمـة للنصوص التالية :

١ ـ مختارات من القرآن مرتبة حسب وجهة نظر موضوعية .

٢ ـ الفقه الاكبر لأبى حنيفة .

٣ ـ العقيدة للطحاوى (المتوفى عام ٩٣٣) .

٤ ـ مختارات من كتاب اللمع للاشعرى (المتوفى ٩٣٥م) .

٥ ـ اسرار الوحى للسمر قندى (توفى فى نهاية القرن الرابع الهجرى)

٦ ـ بداية الهداية للغزالى (المتوفى ١١١١م) .

وهناك مجلد ثان ، يزمع أن يشمل التصوف من القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر الميلادى .

د ـ وهناك كتيب جذاب جدا عن الدين الإسلامى[2] للسفير التركى فى برلين محمود مختار باشا ، وهو يريد أن يواجه به سوء الفهم للإسلام ، لأنه من

---

١ ـ جوزيف هل (١٨٧٥ ـ ١٩٥٠) مستشرق المانى ، كان يعمل استاذا بجامعة ارلانجن بالمانيا ، وكان يهتم بصفة خاصة بالشعر العربى . والعنوان الكامل لكتابه عن الاسلام هو : الدين الاسلامى : ترجمة من المؤلفات الاساسية وقدم . له جوزيف هل ـ يينا ١٩١٥ ـ الجزء الاول : من محمد إلى الغزالى .

٢ ـ صدر الكتاب فى فايمار بالمانيا عام ١٩١٥ بعنوان عالم الاسلام فى ضوء القرآن والحديث .

النادر أن يجد المرء كتبا عن الإسلام باللغة الألمانية ، ألفت من وجهة النظر الإسلامية ، وغاية الكتاب هى سد هذا الفراغ .

ويتناول الكتاب معتمدا على القرآن ، وعلى مجموع الأحاديث النبوية الذى أصدره « عارف بك » منذ وقت قصير ، ووجد لدى الأتراك إقبالا عظيما فى اسطنبول ـ يتناول الموضوعات التالية :

الله فى الإسلام ، بعثة النبى ، تسامح الإسلام ، القرآن ، المسيح والأنبياء ، الخلق ، البعث ، الجنة والنار ، الصلاة ، الحج ، الدراويش ، العناية الإلهية ، الزواج والنساء ، الأخلاق الإسلامية ، الإسلام بوصفه عنصر الحضارة .

وهذا الجمع لاقوال القرآن والحديث عمل جدير بالترحيب ، لأنه يعرض ما يراه المسلمون المثقفون المعاصرون معيارا للعقيدة والسلوك .

هـ ـ ويقدم فينل Weinel المختارات النصية التالية لتصوير الدين الإسلامى :

١ ـ من السورة الثانية للقرآن .

٢ ـ من السورة السادسة والخمسين .

٣ ـ من كتاب بداية الهداية للغزالى (حوالى ١١٠٠م) .

و ـ وتزمع ايضا سلسلة « مصادر تاريخ الاديان » أن تأتى بأصوات دينية من الإسلام ، وتشتمل الخطة على ما يأتى :

ـ القرآن من ترجمة ف . شولتهس[١] Schulthess

ـ مختارات من كتاب « الإحياء » للغزالى . من ترجمة هانز باور Bauer

---

١ ـ مستشرق ألمانى توفى عام ١٩٢٢ وكان جل اهتمامه موجها الى الادب العربى .

- المواقف للايجى ، من ترجمة ماكس هورتن[1] Horten

- الإنسان الكامل . من ترجمة هورتن ايضا .

ز - وأخيرا . . فإن السلسلة التى قام بإنشائها وإصدارها « جوستاف بفانمو للر » Pfannmueller عن « كلاسيكيى الأديان » ستخصص أيضا كتابا عن « شخصية محمد » وتعاليمه ، وكتابا عن « الغزالى » .



---

١ - ماكس هورتن (١٨٧٤ - ١٩٤٥) من مشاهير المستشرقين الألمان . اهتم بصفة خاصة بالفلسفة الاسلامية وتاريخها .

ومن مؤلفاته : ما وراء الطبيعة لابن رشد ، ورد ابن رشد على الغزالى ، وفلسفة الاسلام وعلاقتها بالافكار الفلسفية فى المشرق العربى ، وابن سينا ، والدين والفلسفة فى الاسلام ، ومحمد عبده والاصلاح .

وله دراسات اخرى فى التصوف الاسلامى والحلاج وفلسفة ابن سينا والفارابى .